الفكر الديني عند المرصفي

كما يبدو في كتابه الوسيلة الأدبية

دكتور محمود سعد

أستاذ الدراسات الإسلامية

كلية الآداب - جامعة بنها

١٩٩٢

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة

الاسكندرية



الفكر الدينى عند المرصفى

كما يبدو فى كتابه الوسيلة الأدبية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا ،من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ،وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بخير واحسان الى يوم الدين .

وبعـــــد :

فقد تلقيت دعوة طيبة كريمة من اللجنة التحضيرية لمؤتمر الشيخ حسين المرصفى ، والذى يعقد فى الفترة من ٢٧ من شعبان سنة ١٤١٠هـ - ٢٤ من مارس ١٩٩٠م بالمجلس الشعبى لمحافظة القليوبية ، ورأيت أن الواجب يحتم على أن أسهم فى هذا المؤتمر ببحث يتناول : الفكر الدينى عند المرصفى كما يبدو فى كتابه الوسيلة الأدبية . خاصة بعد أن تصفحت هذا الكتاب ووجدته يتناول أسماء يوم القيامة ضمن تناوله لبعض الأسماء أثناء حديثه عن قواعد النحو والصرف فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، كما الفيته أيضا يتحدث عن الأمثال فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى الجزء الثانى من هذا الكتاب . وتبين لى أن هذا البحث من الأفضل أن أسير فيه على النحو الآتى : أتحدث أولا عن أسماء يوم القيامة فى القرآن الكريم ، وبعد ذلك أتناول الامثال ثم لطائف المشترك ، من أجل هذا قسمت هذا البحث الى ثلاثة أقسام :

الأول : وتحدثت فيه عن أسماء يوم القيامة فى البيان القرآنى .

وتناول **القسم الثانى :** الأمثال فى القرآن والحديث .

وتحدثت فى **القسم الثالث عن لطائف المشترك :** الأسئلة الفقهية .

وقد قمت بتوثيق النصوص وتأصيلها ، وفى النهاية أضرع الى المولى جل ثناؤه أن يجعل هذا العمل خالصا لذاته العلية ، كما أتقدم بأصدق الشكر والامتنان الى اللجنة التحضيرية لمؤتمر الشيخ حسين المرصفى التى أتاحت لى فرصة الاشتراك فى مؤتمرها .

هذا والله عز وجل أسأل أن يهديني سواء السبيل ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

د٠محمود عبد النبى سعد
أستاذ الدراسات الاسلامية المساعد
بكلية الآداب ـ جامعة بنها

الشـــيخ حســـين المرصـــفى
١٨١٥ – ١٨٩٠م

هو العلامة اللغوى الأديب المحقق الشيخ حسين بن أحمد المرصفى – ولد بمرصفا من أعمال محافظة القليوبيــة فى سنة ١٨١٥م ، وكان مكفوف البصر ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم جئ به الى الأزهر الشريف ، فأخذ العلم عن كبــار شيوخه ، حتى أدرك منــه الكفــاية وبرع فى علوم اللغــة العربية وآدابها .

وكان المرصفى شخصية متفتحة ، وكان مرهف الحس شديد الطموح ، فتعلم اللغة الفرنسية ، قراءة وكتابة فى مدرسة العميان على طريقة (بريل) .

وكان المرصفى من أوائل من تفطنوا الى قدر الأدب القديم ، فراح يقرأ كتب أعلام البــلاغة ودواوين متقــدمة للشــعراء ، ويتروى منهــا بالحفظ والاستظهار ، ويروض قلمه على البيان القوى حتى أصبح الاديب التام ، ودرس الأدب فى الازهر الشريف ودار العلوم منذ انشائها ، ولقد كانت دروسه الادبية بداية تحول كبير فى النقد والدراسة الادبية .

ومن تلاميــذه حفنى ناصف والبارودى وعبــد الله فكرى ، وصاحبوه وعرضوا عليه بيانهم ، فهدى وتفتح وهذب . وقد اعترف البارودى بانه هو الذى علمه وفقهه وهداه الى مصادر المعرفة والثقافة العربية ، وانتقل الى جوار ربه فى عام ١٣٠٧هـ – ١٨٨٩م وقيل ١٣٠٨هـ – ١٨٩٠م .

ومن كتبـــه :

١ – الوسيلة الأدبية :

يعتبر هذا الكتاب أخصب موسوعة للنقد والدراسات الأدبية والبلاغة – ولايزال هذا الكتاب مرجع المتأدبين الى اليوم – ولقد تأثر بها الكتاب الذين اهتموا بالابداع الفنى فى مجال الشعر كالبارودى وشــوقى وحافظ وغيرهم من أعلام حركة البعث الشعرى ، ويقع هذا الكتاب فى مجلدين .

وقد عرض المرصفى فى هذا الكتاب علوم العربية عرضا جديدا بأسلوب جديد ، وبخاصة علوم البلاغة مبينا منزلة كل منها فى نقد الكلام .

ولم يكتف بهذا بل حاول التطبيق النقدى ، وصحح كثيرا مما أخطأ فيه القدماء وكان له ذوق مرهف لمعرفة مواطن الحسن فى الكلام ، ويبدأ نقده بتفسير الكلمات اللغوية حتى يتضح المعنى ، ولا يجعل من النحو والبلاغة غاية فى النقد ، وانما هى عنده وسيلة لمعرفة الصور وجلائها وايضاح مكان البلاغة فى القول ، ولذلك نراه ينتقد معاصريه ، والسابقين عليه فى طريقة دراستهم للبلاغة وفهمهم لمقاصدها ، فلا ينبغى لهم الاقتصار على قولهم : كذا يشبه كذا ، أو استعار كذا لكذا . وانما يجب على النقد أن يقف القارىء على مواطن الحسن فى العبارة .

ومن أمثلة نقده كلامه على قوله جل ثناؤه (ختم الله على قلوبهم)(1) الختم : الطبع ، ويدل على تشبيه القلوب بصناديق مثلا ،ففى الكلام استعارة مكنية وقرينتها لفظ ختم ، فيفيد الكلام أنه بمنزلة الجمادات ، بحيث أنها لو كان فيها شىء لم تكن منتفعة به ، وقد جعلت بحيث لا يمكن أن يدخل فيها شىء ، فلا يطمع لها طامع فى ايمانهم .

ويرى أنه ليس كل كلام تحققت فيه أركان قسم من أقسام فنون البلاغة يعد بليغا فيقول : ليس كل ما فيه الكاف أو كأن يعد فى نظر أهل صناعة الكلام العارفين بها الواقفين على أسرارها ، الملتفتين الى دقائقها – تشبيها ، وانما التشبيه ما جلت فائدته وحسن موقعه من غرضه .... وان أحسن التشبيه والاستعارة ما وقع موقعه من غرض تصوير حال المشبه أو المستعار له ، والابانة عنها بجزيل العبارة ولطف السياق بحيث لا يكون قصد المتكلم الى مجرد التشبيه والاستعارة كما هو كثير فى كلام المولدين(2) .

ولم يكتف المرصفى بالتجديد فى النظرة الى علوم العربية من نحو

---

(1) سورة البقرة/7 .

(2) الوسيلة الأدبية جـ 2/17 و 24 وينظر فى الأدب الحديث تأليف عمر الدسوقى جـ 2/213 .

وصرف وبلاغة وبيان الغاية منها ولكنه تكلم عن (كتابة الانشاء أو صناعة الترسل) وكذلك ما سماه (صناعة الشعر) واتبع فى معالجتهما ما اتبعه فى معالجة البلاغة من الاعتماد على الذوق والمعرفة معا ·

ومقياس الجودة عنده (صحة المعنى وشرفه، وتخير الألفاظ فى أنفسها، ومن جهة تجاورها ، وموافقتها للمقام ، واجادة التركيب على ما شرح فى علم المعانى وغيره ، بحيث تكون الألفاظ مسلسلة فى النطق خالية من التنافر وشدة الغرابة · يألف بعضها بعضا ، حتى تكون الكلمات المتوالية بمنزلة كلمة واحدة ، وتكون الألفاظ التى توردها فى مقام الحماسة ليست كالألفاظ التى توردها فى مقام الغزل والتشبيب ، فلكل فن من تلك الفنون ألفاظ توافقه من جهة شدتها ولينها تسمعهم يقولون الجزل الرقيق)(1) ·

٢ ـ رسالة دعاها (الكلمات الثمان) :

تحدث فيها عن معانى : الأمة ، والوطن ، والحكومة ، والعدل ، والنظام ، والسياسة ، والحرية ، والتربية ·

وقد طبع هذا الكتاب عام ١٨٨١م والبلاد تحتدم بالأفكار الثورية ، وتغلى بالثورة العرابية ، فلا جرم أن يكون له تصور خاص فى هذه الأحداث على طريقته الفكرية العميقة ، والكتاب يعكس هذا التصور ، فهو كتاب يدخل فى مجال العلوم السياسية ويهدف الى تربية الوجدان السياسى والوطنى لشباب الامة ·

٣ ـ دليل المسترشد فى فن الانشاء :

وهو عبارة عن محاضرات فى النثر الفنى ، تناولت عدة موضوعات فى التربية ، والتاريخ وعلم النفس والمنطق وعلم الحياة والفقه والخطابة والنقد الادبى وهو لا يزال مخطوطا ويقع فى ثلاثة مجلدات ·

---

(١) الوسيلة الأدبية جـ ٢/٤٦٣ وفى الأدب الحديث جـ ٢/٢١٤ ·

القسم الأول

أسماء يوم القيامة
في البيان القرآني

اسم الشيء ما يعرف به فأسماء القيامة هى الصورة النوعية التى تدل بخصائصها وهويتها على صفات يوم القيامة وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ، والقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله عز وجل فى كتابه العزيز بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة ، ومن ذلك ما يأتى :

١ - يوم القيامة .
٢ - الساعة .
٣ - يوم الحشر .
٤ - يوم العرض .
٥ - يوم الخروج .
٦ - يوم النشور .
٧ - يوم التلاق .
٨ - يوم الآزفة .
٩ - يوم التبديل .
١٠ - يوم الجزاء .
١١ - يوم الوفاء .
١٢ - يوم الندامة والحسرة .
١٣ - يوم التقلب .
١٤ - يوم الشخوص .
١٥ - يوم البعث .
١٦ - يوم التغابن .
١٧ - الواقعة .
١٨ - الحاقة .
١٩ - الطامة . .
٢٠ - الصاخة .
٢١ - الغاشية .
٢٢ - القارعة .
٢٣ - يوم الدين .
٢٤ - يوم الحساب .
٢٥ - يوم الجدال .
٢٦ - يوم الشهادة ويوم يقوم الأشهاد
٢٧ - يوم الفرار .
٢٨ - يوم النداء .
٢٩ - يوم السؤال .
٣٠ - يوم التفرق .
٣١ - يوم الصدع والصدر .
٣٢ - يوم لا بيع فيه ولا خلال .
٣٣ - يوم الشفاعة .
٣٤ - يوم الآذان .
٣٥ - يوم الفتنة .
٣٦ - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
٣٧ - يوم النفخ .
٣٨ - يوم الفصل .

أســماء يوم القيــامة

تحدث القرآن الكريم عن حياتين : الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة ، ووصف الأولى بقوله جل ثناؤه (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنــاه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والأنعــام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهــارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصــل الآيات لقــوم يتفكرون)[1] .

ويقارن القرآن الكريم بين الحياتين فى قوله عز شانه (انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار)[2] فالحياة الدنيا متاع ، أى قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتمحل والآخرة هى دار القرار ، أى الدار التى لازوال ولا انتقال منها ولا ظن عنها الى غيرها ، بل اما نعيم أو جحيم[3] .

وقد افتتح المولى عز وجل بذم الدنيا ، وتصغير شانها ، لأن الاخلاد اليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدى الى سخط الله تعالى ، ويجلب الشقاوة فى العاقبة . وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتهــا وانها هى الوطن والمستقر[4] .

وليس معنى هذا الابتعاد عن الدنيا وطيباتها ، ولكن الامر كما قال الله تعــالى ذكره : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنياواحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين)[5] . فالله عز وجل قد خلق طيبات الحياة الدنيا ليستمتع بهــا

---

(١) يونس/٢٤ .
(٢) غافر /٣٩ .
(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٣/٢٤٥ .
(٤) الكشاف جـ ٣/٤٢٨ .
(٥) القصص/٧٧ .

الناس وليعملوا فى الارض لتوفيرها وتحصيلها ، فتنموا الحياة وتتجدد ، وتتحقق خلافة الانسان فى هذه الارض ، ذلك على أن تكون وجهتهم فى هذا المتــاع هى الآخرة ، فلا يتحرشــون عن طريقها ولا يشتغلون بالمتــاع عن تكاليفها. والمتاع فى هذه الحالة لون من الوان الشكر للمنعم ، وتقبل لعطاياه وانتفاع بها ، فهو طاعة من الطاعات يجزى عليها الله بالحسنى ، وهكذا يتحقق التعــادل والتناسب فى حيــاة الانسان ويمكنه من الارتقاء الروحى الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة ، التى لا حرمان فيها ولا اهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة(١) .

وقد جعل المولى عز وجل الحيــاة الآخرة هى المقر ، وجعل حبهــا والعمل من أجلها من سمات المؤمنين الصادقين (كلا بل تحبــون العــاجلة وتذرون الاخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة)(٢) .

ومن أجل الوصول الى الحياة الآخرة ، فان المولى عز وجل قد جعل لها يوما سماه بأسماء كثيرة والقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالهــا سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة ، وقد ذكر المرصفى بعض هذه الاســماء ، حيث يقول فى كتابه الوسيلة الادبية الى العلوم العربية:(أسماء يوم القيامة : الساعة ، يوم القيامة ، يوم البعث ،يوم الدين ، يوم النشور ،يوم الخروج، يوم الحشر ، يوم الجمع ، يوم الحساب ، يوم العرض ، يوم الهيبة ، يوم الحسرة ، يوم الندامة ، الحاقة ، القارعة ، الواقعة ، الطامة ، الصاخة ، الغاشية ، الآزفة ، وأكثرها وارد فى القرآن المجيد)(٣) .

وثمة أسماء أخرى : يوم التلاق ، يوم التبديل ، يوم الجــزاء ، يوم الوفاء ، يوم التقلب ، يوم الشخوص ، يوم التغابن ، يوم الجدال ، يوم الشهادة ، ويوم يقوم الاشهاد ، يوم الفرار ، يوم النداء ، يوم الســؤال ،

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٣٧٤/٦ .
(٢) القيامة/٢٠ .
(٣) الوسيلة الادبية الى العلوم العربية الطبعة الاولى بمطبعة المدارس الملكية سنة ١٢٨٩ جـ٥٠/١ .

يوم الصدع والصدر ، يوم لا بيع فيه ولا خلال ، يوم الشفاعة ، يوم الآذان ، يوم الفتنة ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، يوم الفصل ·

وهذا ما سنتناوله بالتفصيل فيما يلى ان شاء الله تعالى :

١ ـ يوم القيـــــــامة(١) :

القيامة فى اللغة العربية مصدر قام يقوم ، ودخلهـا التأنيث للمبالغة على عادة العرب · ويوم القيامة ، يوم يقوم الناس من قبورهم ، ويحشرون بين يدى الله عز وجل فى الدار الآخرة ليحاسبوا ويجزى كل بما كسب(٢) قال الله تعـالى : (ويوم القيـامة يردون الى أشد العذاب)(٣) وقال عز شـأنه : (فالله يحكم بينهم يوم القيـامة فيما كانوا فيـه يختلفون)(٤) وقال الله جل ثناؤه (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم)(٥) قيل المراد بهذه الآية علماء اليهود ، لانهم كتموا ما أنزل الله فى التوراة من صفة محمد ﷺ · والاشتراء هنـا : الاستبدال وسماه قليـلا لانقطاع مدته وسوء عاقبته ، وهذا السبب وان كان خاصا فالاعتبار بعموم اللفظ ، وهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله ، وأخذ عليه الرشـا ، وذكر البطون دلالة وتاكيدا أن هذا الأكل حقيقة ، اذ قد يستعمل مجازا فى مثل : أكل فلان أرضى ونحوه(٦) ·

وقال فى الكشاف : ان معنى (فى بطونهم) ملء بطونهم قال : يقول أكل فلان فى بطنه ، وأكل فى بعض بطنه(٧) وقوله (الا النار) أى أنه يوجب عليهم عذاب النار ، فسمى ما أكلوه نارا لانه يؤول بهم اليها · وقيل انهم يعاقبون على كتمانهم بأكل النار فى جهنم حقيقة · وقوله تعالى (ولا يكلمهم

---

(١) وردت كلمة القيامة فى القرآن الكريم ما يقرب من سبعين مرة ·
(٢) معجم الفاظ القرآن الكريم ـ اعداد مجمع اللغة العربية ص٢٧٠ ·
(٣) البقرة/٨٥ ·
(٤) البقرة/١١٣ ·
(٥) البقرة/١٧٤ ·
(٦) فتح القدير للشوكانى ج ١٧١/١ ·
(٧) الكشاف للزمخشرى ج ٣٢٩/١ ·

الله) فيه كناية عن حلول غضب الله عليهم وعدم الرضا عنهم ، يقــال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه(١) وقال ابن جرير الطبرى : المعنى : ولا يكلمهم بما يحبونه لا بما يكرهونه(٢) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهــم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر»(٣) . وانما خص هؤلاء بأليم العذاب وشدة العقوبة لمحض المعاندة والاستخفاف الحامل لهم على تلك المعاصى ، اذ لم يحملهم على ذلك حاجة ، و لا دعتهم اليــه ضرورة كما تدعو من لم يكن مثلهم(٤) .

وتتحدث هذه السورة ـ سورة القيامة ـ عن هول القيامة ، وهيبتها ، وبيان اثبات البعث ، وتأثير القيامة فى أعيان العالم ، وبيان جزاء الأعمال، وآداب سماع الوحى والوعد باللقاء والرؤية ، والخــبر عن حال السكرة ، والرجوع الى بيان برهان القيامة .

وقد أقسم الله عز وجل بهذا اليوم فى قوله تعالى : (لا أقســم بيــوم القيامة)(٥) واختلف فى تسميتها بذلك على عدة أقوال :

الأول : لقيام الخلق من قبورهم اليها قال الله تعالى (يوم يخــرجون من الأجداث سراعا)(٦) .

الثانى : لقيام الناس لرب العالمين ، كما روى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ «يوم يقوم الناس لرب العالمين»(٧) قال : يوم يقوم

---

(١) فتح القدير للشوكانى ج ١٧١/١ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٣٢/٢ .
(٣) مسلم فى الايمان ، باب بيان غلظ تحريم اسبال الازار رقم ١٠٧ والنسائى فى الزكاة باب الفقير المعتال ، ج ٨٦/٦ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٣٥/٢ .
(٥) القيــــامة/١ .
(٦) المعارج/٤٣ .
(٧) المطففين/٦ .

أحدكم فى وشحه الى نصف أذنيـه[1] . قال ابن عمـر : يقومون مائة سـنة ويروى عن كعب يقومون ثلاث مائة سنة .

الثالث : لقيام الروح والملائكة صفا ، قال الله تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا)[2] .

ويوم القيامة يتضمن الأيام كلها ، فسمى بكل حال يوما فقيـل (يوم ينفخ فى الصـور)[3] ثم قيل : (يوم يكون النـاس كالفراش المبثوث)[4] ثم قيـل : (يوم ينظـر المرء ما قدمت يداه)[5] فهـذه حالة أخرى ، ثم قيل : (يومئذ تعرضون)[6] ثم قيل (يومئذ يصدر الناس أشتاتا)[7] فقد يجرى يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل حال منها كاليوم المتجدد ، ولذلك كررت فى قوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين)[8] لان ذلك اليوم ومابعده يوم، واليوم العظيم متضمن لهذه الايام فهو لله وللخلائق أيام قد عرفت أيامهم فى يومه ، وقد بطل الليل والنهار[9] .

٢ ـ السـاعة :

من أسماء يوم القيامة : الساعة ، وقد ورد هذا الاسم فى مواطن متعددة فى القرآن الكريم[10] .

---

(١) البخارى فى الرقاب ، باب قوله تعـالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) ، جـ١١/٣٤٠ وفى تفسير سـورة المطففين ومسلم فى الجنـة ، باب فى صفة يوم القيامة رقم ٢٨٦٢ والترمذى فى القيامة باب رقم ٣ حيث رقم ٢٤٢٤ وفى التفسير باب ومن سورة (المطففين) رقم ٣٣٣٣ .

(٢) النبـأ/٣٧ .

(٣) طه/١٠٢ .

(٤) القارعة/٤ .

(٥) النبـأ/٤٠ .

(٦) الحاقة/١٨ .

(٧) الزلزلة/٦ .

(٨) الانفطار /١٧ ـ ١٨ .

(٩) التـذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخـرة لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ . تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا جـ ٢٦٠/١ ط سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

(١٠) ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم ما يقرب من ثمان وأربعين مرة. ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

والساعة فى الأصل اسم لمقدار قليل من الزمان غير معين ، وهى عند المنجمين جزء من أربعة وعشرين جزءا من الليل والنهار ، وتقول العرب : أفعل كذا الساعة وأنا الساعة فى أمر كذا تريد الوقت الذى انت فيه ، والذى يليه تقريبا له .

وحقيقة الاطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة فى الحقيقة عن الوقت الذى انت فيه ، وهو المسمى بالآن .

وسميت به القيامة أما لقربها ، فان كل آت قريب ، وأما أن تكون سميت بها تنبيها على ما فيها من الكائنات العظام التى تصهر بالجلود وتكسر العظام ، وقيل انما سميث بالساعة ، لأنها تأتى بغتة فى ساعة . وقيل انما سميت بالساعة لأن الله تعالى يأمر السماء أن تمطر بماء الحيوان حتى تنبت الأجساد فى مدافنها ومواضعها حيث كانت من بحر أو بر ، وتستقل وتتحرك بحياتها بماء الحيوان ، وليست فيها أرواح ، ثم تدعى الأرواح ، فأرواح المؤمنين تتوقد نورا ، وأرواح الكافرين تتوهج ظلمة ، فاذا دعا الأرواح ألقاها فى الصور ، ثم يأمر اسرافيل أن ينفخ فى الصور ، فاذا نفخ فيه خرجت من الصور ، ثم أمرت أن تلحق الاجساد ، فتبعث الى الأجساد فى أسرع من اللمحة ، وانما سميت الساعة لسعى الأرواح الى الأجساد فى تلك السرعة ، فهى سائع وجمعها ساعة ، كقولك بائع وباعة ، وضائع وضاعة ، وكائل وكالة ، فوصف أن سائر أموره فى السرعة كلمح البصر ، وأمر السائق أقرب من لمح البصر(١) .

والذى نخلص اليه أن الساعة فى عرف الشرع تطلق على يوم موت الخلق ، وعلى قيام الناس لرب العالمين . وأن المراد بها هنا القيامة ، وسميت ساعة لسرعة الحساب فيها . وقيل : ان الساعة هى الوقت الذى تقوم القيامة وسميت ساعة ، لأنها تفجأ الناس فى ساعة لا يعلمها الا الله جل ثناؤه ، قال عز شانه : (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا : يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على

---

(١) التذكرة للقرطبى ج ٣٦٢/١ والتفسير الكبير للرازى ج ٢٠٨/١٢ .

ظهورهم الا ساء ما يزرون)(١) ٠

يعنى قوله تعالى ذكره بقوله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) قد هلك ووكس فى بيعهم الايمان بالكفر الذين انكروا البعث بعد الممات والثواب والعقاب والجنة والنار من مشركى قريش ومن سلك سبيلهم فى ذلك(٢) ٠

ووضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم عما فى حيز الصلة من التكذيب بلقاء الله تعالى والاستمرار عليه(٣) ٠

والمراد من تكذيبهم بلقاء الله : تكذيبهم بالبعث ، وقيل : تكذيبهم بالجزاء والاول أولى ، لانهم الذين قالوا : (ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين)(٤) وكلمة (حتى غاية ، لقوله تعالى ذكره (كذبوا) لا لقوله عز وجل (قد خسر) لان خسرانهم لا غاية له ، ومعنى (حتى) هاهنا أن ينتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة ، والمعنى أنهم كذبوا الى أن ظهرت الساعة بغتة وأورد على ذلك بانهم انما يتحسرون عند موتهم ٠

وأجيب عن ذلك بأنه لما كان الموت وقوعا فى أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة ، وسمى باسمها ، ولذلك قال النبى ﷺ (من مات فقد قامت قيامته) ٠

وقوله تعالى (بغتة) والنعت والبغتة هو الفجاة ، والمعنى أن الساعة لا تجىء الا دفعة ، لانه لا يعلم أحد متى يكون مجيئها ، وفى أى وقت يكون حدوثها(٥) ٠

وقوله عز شانه (بغتة) انتصابه على الحال ، وهى عند سيبويه مصدر فى الحال ، كما تقول : (قتلته صبرا) وأنشد :

فلا يابلأى ما حملنــــا وليدنـــا على ظهر محبوك ظماء مفاصله(٦)

---

(١) الانعام/٣١ ٠
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى جـ ١١٣/٧ ٠
(٣) روح المعانى للالوسى جـ ١١٣/٧ ٠
(٤) الانعام/٢٩ ٠
(٥) التفسير الكبير للرازى جـ ٢٨٨/٨ ٠
(٦) البيت لزهير بن أبى سلمى ٠ والشاهد فيه قوله : (لا يا بلأى) =

ولا يجيز سيبويه أن يقاس عيه ، لا يقال : جاء فلان سرعة[1] .

وقوله تعالى ذكره (قالو يا حسرتنا) وقع النداء على الحسرة ، وليست بمنادى فى الحقيقة ولكنه يدل على كثرة التحسر ، ومثله (يا للعجب ، ويا للرخاء) وليسا بمنادين فى الحقيقة ولكنه يدل على كثرة التعجب والرخاء ، قال سيبويه : كأنه قال : يا عجب تقال فهذا زمن اتيانك .

وكذلك قوله (يا حسرتا ـ أى يا حسرتا تعـالى ، فهذا وقتك ، وكذلك ما لا يصح نداؤه يجرى هذا المجرى ، فهذا أبلغ من قولك : تعجبت ، ومنه قول الشاعر[2] :

ويوم عقـرت للعذارى مطيتى   فيا عجبا من رحلها المتحمل

وقيل : هو تنبيه للناس على عظيم ما يحل بهم من الحسرة ، أى أيها الناس تنبهوا على عظيم ما بى من الحسرة ، فوقع النداء على غير المنادى حقيقة ،كقولك:(لا أرينك هاهنا)فيقع النهى على غير المنهى فى الحقيقة[3].

وقوله تعالى ذكره (على ما فرطنا فيها) أى على تفريطنا فى الساعة ، أى فى الاعتداد لها والاحتفال بشأنها ،والتصديق بها ،ومعنى (فرطنا)ضيعنا ، وأصله : التقدم يقال : فرط فلان ، أى تقدم وسبق الى الماء ،ومنه قوله ﷺ : «إنا فرطكم على الحوض»[4] ومنه : الفـارط : أى المتقدم ، فكأنهم أرادوا بقولهم (على ما فرطنا) أى على ما قدمنا من عجزنا عن التصديق بالساعة والاعتداد لها .

= ونصبه عن المصدر المرفوع فى موضع الحال ،والتقدير :حملنا وليدنا مبطئين ملتئين . وصف فرسا بالنشاط وشدة الخلق فيقول : اذا حملنا الغلام عليـه ليصيد امتنع لنشاطه فلم يحمله الا بعد أبطاء وجهد . واللاى : الابطاء . المحبولة : الشديد الخلق ، والظما هنا :القليلة اللحم ـ وهو المحمود منها ـ وأصل الظمأ : العطش .

(١) من معلقة امرىء القيس .

(٢) من معلقة امرىء القيس .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٤١٢/٦ .

(٤) أخرجه البخارى فى الرقاق ، باب فى الحوض جـ ٤١٤/١١ ومسلم فى الفضائل ، باب اثبات حوض نبينا ﷺ رقم ٢٢٨٩ .

وقال ابن جرير الطبرى:ان الضمير فى (فرطنا فيها) يرجع الى الصفقة وذلك أنهيم لما تبين لهم خسران صفتهم ببيعهم الايمان بالكفر ، والدنيا بالآخرة (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) فى صفقتنا ، وان لم تذكر فى الكلام فهو دال عليها ، لأن الخسران لا يكون الا فى صفقة[1] ٠

وقيل : الضمير راجع الى الحياة ، أى على ما فرطنا فى حياتنا[2] ٠

وقال السدى : على ما ضيعنا ، أى من عمل الجنة ، وفى الخبر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى هذه الآية قال : «يرى أهل النار منازلهم فى الجنة فيقولون : يا حسرتنا»[3] ٠

وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) فى موضع الحال من فاعل (قالوا) وهى حال مقارنة ، أو مقدرة ٠ والوزر : فى الأصل الثقل ، ويقال للذنب ، وهو المراد هنا ، أى يحملون ذنوبهم وخطاياهم كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ٠

وذكر الظهور ، لأن المعتاد الأغلب الحمل عليها كما فى قوله تعالى (كسبت أيديكم)[4] فان الكسب فى الأكثر بالأيدى ، وفى ذلك اشارة الى مزيد ثقل المحمول،وجعل الذنوب والآثام محمولة على الظهر من باب الاستعارة التمثيلية ، والمراد بيان سوء حالهم وشدة ما يجدونه من المشقة والآلام والعقوبات العظيمة بسبب الذنوب ٠

وقيل حملها على الظهر حقيقة وانها تجسم ، فقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى أنه قال : ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى جـ ١١٤/٧ من المجلد الخامس ٠

(٢) فتح القدير للشوكانى جـ ١١١/٢ والكشاف للزمخشرى جـ ١٤/٢ وروح المعانى جـ ١٣٢/٣ ٠

(٣) ابن جرير والطبرانى وابن مردويه والخطيب بسند صحيح عن ابن سعيد الخدرى ٠

(٤) الشورى/٣٠ ٠

الا جاءه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب دسة حتى يدخل معه قبره ، فلذا رآه قال : ما أقبح وجهك ؟ قال : كذلك كان عملك قبيحا . قال : ما أنتن ريحك ؟ قال : كذلك كان عملك منتنا ، قال : ما أدنس ثيابك . فيقول : ان عملك كان دنسا . قال : من أنت ؟ قال : انا عملك ، فيكون معه في قبره ، فاذا بعث يوم القيامة قال له : انى كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات فأنت اليوم تحملني ، فيركب على ظهره ، فيسوقه حتى يدخله النار . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن عمرو بن قيس قال : ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن شىء صورة وأطيبه ريحا ، فيقول له : هل تعرفن : فيقول : لا الا أن الله تعالى قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول : كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا فاركبنى اليوم ، وتلا (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا)(١) وان كان الكافر يستقبله أقبح شىء صورة وأنتنه ريحا ، فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول : لا الا أن الله تعالى قد قبح صورتك ونتن ريحك ، فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السىء طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا اليوم أركبك وتلا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) الآية(٢،٣) .

وهناك آية أخرى فى سورة الانعام — أيضا — تتحدث عن الساعة ، وتأمر رسول الله ﷺ بأن يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى انكاره ، وهى قوله عز وجل (قل أرأيتكم(٤) ان آتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) .

---

(١) مريم/٨٥ .
(٢) الأنعام/٣١ .
(٣) روح للآلوسى ج ١٣٣/٣ من المجلد الثالث .
(٤) اختلف أهل العربية فى معنى قوله (أرأيتكم) **فقال بعض نحويى البصرة** : الكاف التى بعد التاء من قوله (أرأيتكم) انما جاءت للمخاطبة وتركته التاء مفتوحة كما كانت للواحد ، قال وهى قيل : كاف (رويدك) زيدا اذا قلت : أورد زيدا هذه الكاف ليس لها موضع يمس بحرف لا رفع ولا نصب ، وانما هى فى المخاطبة مثل الكاف (ذاك) ومثل ذلك قول العرب (أنصرك زيدا) يدخلون الكاف للمخاطبة . **وقال آخرون منهم معنى** (أرأيتكم) ان أتاكم أريتم ، قال وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد ، والتاء وحدها هى الاسم ، كما ادخلت الكاف التى تفرق بين الواحد والاثنين والجميع فى المخاطبة ، كقولهم : هذا وذاك وتلك وأولئك ، **فتدخل الكاف** =

. أى قل يا محمد لهؤلاء الكفار : ان أتاكم عذاب الله فى الدنيا ، أو أتاكم العذاب عند قيـام الساعة أترجعون الى غير الله فى دفع ذلك البلاء والضر ، أو ترجعون فيه الى الله تعالى ؟ . ولما كان من المعلوم بالضرورة أنهم انما يرجعـون الى الله تعـالى فى دفع البلاء والمحنة لا الى الأصنام والأوثان ، لا جرم قال الله جل ثنـاؤه : (بل اياه تدعون)(١) يعنى أنكم لا ترجعون فى طلب رفع البلية والمحنة الا الى الله تعالى(٢) .

= للمخاطبة وليستباسم،والتاء هو الاسم للواحد والجميعتركت علىحال واحدة ، ومثل ذلك قولهم (ليك ثم الا زيد) يراد ليس . (ولا مسيك زيد) فيراد ولاسـيما زيد . ويلاك ، فيراد (بلى) فى معنى (منهـم) . وقالوا : انظرك : زيدا ما أصنع به ، وأبصرك ما أصنع به بمعنى أبصره .

وحكى بعضهم : أبصركم ما أصنع به ، يراد أبصروا وأنظركم زيدا،أى انظروا . وحكى عن بعض بنى كلاب : أتعلمك كان أحد أشعر من ذى الرمة ، فأدخل الكاف .

وقال بعض نحوى الكوفة : (أرأيتك عمرا) أكثر الكلام فيه ترك الهمز قال : والكاف من (أرأيتك) فى موضع نصب ، كان الأصل (أرأيت نفسك على غير هذه الحال) ، قال : فهذا يثنى ويجمع ويؤنث ، فيقال : أرأيتماكما وأرأيتموكم وأرأتين ، كن وقع فعله على نفسه ، وسأله عنهما ، ثم كثر به الكلام حتى تركو التاء موحدة للتركيز والتأنيث والتثنية والجمع ، فقالوا : أرأيتكمزيداماصنعوأريتكن زيداماصنع .فوحدوا التاء وثنوا الكافوجمعوها، فجعلوا بـدلا من التاء ، كما قال : (هاؤم أقرؤا كتابيه) وهاء يا رجل وهاؤما ، ثم قالوا : هاكم اكتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمـع ، فكان الكاففىموضع رفع اذ كانت بدلا من التاء وربما وحدت التثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، وهى كقـول القائل ، عليك زيدا ، الكاف فى موضـع خفض ، والتأويل رفع ، فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الأسماء ثم تأتى بالاستفهام فيقال : (أرأيتك زيدا هل قام) لأنها صارت بمعنى أخبرنى عن زيد ، ثم بين عما يستخبر فهذا أكثر الكلام ولم يأت الاستفهام ثنيها لم يقل: أرأيتك هل قمت : لأنهم أرادوا أن يبينوا عمن يسأل : ثم تبين الحالة التى يسأل عنها وربما جاء بالخبر ولم يأت بالاسم فقالوا : أرأيت زيدا هل يأتينا وأرأيتك أيضا وأرأيت زيدا ان أتيته هل يأتينـا اذا كانت بمعنى اخبرونى فيقال باللغات الثلاث .

(جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى جـ ١٢١/٧) .

(١) الأنعام/٤١ .

وقوله : (بل اياه تدعون معطوف على منفى مقـدر ، أى لا تدعون غيره ، بل اياه تخصون بالدعاء) .

(٢) التفسير الكبير للرازى جـ ٢٣٤/١٢ من المجلد السادس .

هذا وقد سأل اليهود النبى ﷺ عن الساعة ، فقال عز شأنه : (يسألونك عن الساعة أيان[1] مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها[2] لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض[3] لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها[4] قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[5] .

ان الساعة غيب ، من الغيب الذى استأثر الله عز وجل بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ، ولكن اليهود يسألون الرسول ﷺ عنها ، فقد أخرج ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : حمل بن أبى قشير وسمول ابن زيد لرسول الله - ﷺ - أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هى ؟ وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أنه تعالى قد استأثر بعلمها فأنزل الله عز وجل الآية :

وذهب بعض العلماء الى أن السائل قريش ، فقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة أن قريشا قالوا : يا محمد أسر الينا متى الساعة لما بيننا وبينك من القرابة ؟ فنزلت[6] .

---

(١) أيان : سؤال عن الزمان مثل متى ، مثل قول الراجز :

أيان تقضى حاجتى أيان … أما ترى لنجحها أوانا

ومرساها : فى موضع رفع بالابتداء عند سيبويه ، والخبر أيان ، وهو ظرف مبنى على الفتح ، بنى لأن فيه معنى الاستفهام . و (مرساها) بضم الميم من أرساها الله ، أى أثبتها ، أى متى مثبتها ، أى متى وقوعها . وبفتح الميم من (دست) أى ثبتت ووقفت .

(٢) لا يجليها : أى لا يظهرها : (لوقتها) أى فى وقتها و (التجلية) اظهار الشيء ، يقال : جلا لى فلان الخبر اذا أظهره وأوضحه .

(٣) (ثقلت فى السموات والأرض) : خفى علمها على أهل السموات والأرض ، وكل ما خفى علمه ، فهو ثقيل على الفؤاد .

وقيل : كبر مجيئها على أهل السموات والأرض . وقيل : المعنى لا تطيقها السموات والأرض لعظمها ، لأن السماء تنشق والنجوم تتناثر والبحار تنضب .

(٤) الحفى : العالم بالشيء ، والحفى المتقصى فى السؤال ، والمعنى : يسألونك كأنك حفى بالمسألة عنها ، أى صلح .

وقال ابن عباس هو على التقديم والتأخير والمعنى : يسألونك عنها كأنك حفى بهم أى حفى ببرهم وفرح بسؤالهم .

(٥) الأعراف/١٨٧ .

(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٩٣/٩ - ٩٤ وروح المعانى للآلوسى ج١٣١/٩ - ١٣٢ من المجلد الثالث .

قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قوما سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة فانزل الله هذه الآية ، وجائز أن يكون كانوا من قريش ، وجائز أن يكون كانوا من اليهود ، ولا خبر بذلك عندما يجوز قطع القول على أن ذلك كان ، فتأويل الآية اذا يسألك القوم الذين يسألونك عن الساعة متى قيامها وموعدها الذى اليه تستقر وترسو ؟[1] .

والرسول ﷺ بشر لا يدعى علم الغيب ، مأمور أن يكل الغيب الى صاحبه ، وأن يعلمهم انها من خصائص الألوهية[2] ، وأنه هو بشر لا يدعى شيئا خارج عن بشريته ولا يتعدى حدودها ، انما يعلمه ربه ويحى اليه ما يشاء (قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو)[3] .

ونظيره قوله سبحانه (ان الله عنده علم الساعة)[4] وقوله جل ثناؤه (وان الساعة آتية لا ريب فيها)[5] وقوله عز وجل (ان الساعة آتية اكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى)[6] وقوله تبارك اسمه (وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل)[7] وقوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة)[8] وقوله جل ثناؤه (وعنده علم الساعة واليه ترجعون)[9] وقوله سبحانه وتعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها)[10] ولما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وقال متى الساعة ؟ فقال ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها : اذا ولدت الأمة ربتها[11] ، فذاك من أشراطها واذا كانت العراة الحفاة

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى جـ ٩/٩٤ .
(٢) فى ظلال القرآن جـ ٣/١٤٠٩ .
(٣) الأعراف/١٨٧ . (٤) لقمان/٣٤ .
(٥) الحج/٧ . (٦) طه/١٥ .
(٧) الحجر/٨٥ . (٨) فصلت/٤٧ .
(٩) الزخرف/٨٥ . (١٠) النازعات/٤٢ – ٤٦ .
(١١) ربتها ، وربها : الرب السيد ، والمالك ، والصاحب ، والمدبر ، والمربى والمولى ، والمراد به فى الحديث : السيد والمولى ، وهى الأمة تلد للرجل ، فيكون ابنها مولى لها ، وكذلك ابنتها ، لأنها فى الحسب كأبيها ، والمراد أن السبى يكثر والنعمة تفشو فى الناس وتظهر .
أشراطها : جمع شرط ، وهو العلامة .

رؤس الناس ، فذاك من أشراطها ، واذا تطاول رعاء البهم في البنيان ، فذاك من أشراطها ، في خمس لا يعلمهن الا الله ، ثم تلا رسول الله ﷺ (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير)(٢) وفي رواية قال فيهـا (واذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم(٣) ملوك الأرض ، فذاك من أشراطها)(٤) .

والسبب في اخفاء الساعة عن العباد أنهم اذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها ، فيكون ذلك أدعى الى الطاعة ، وأزجر عن المعصية ثم أنه تعالى شأنه أكد هذا المعنى فقال (لا يجليها لوقتها) والتجلية اظهار الشيء والتجلى ظهوره ، والمعنى : لا يظهرها في وقتها المعين (الا هو) أى لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاعلام والاخبار الا هو .

ولمـا خفى علمها على أهل السموات والأرض كانت ثقيلة ، لأن كل ما خفى علمه ثقيل على القلوب (ثقلت في السموات والأرض) . وقيل : المعنى : لا تطيقها السموات والأرض لعظمها ، لأن السماء تنشق ، والنجوم تتناثر ، والبحار تنضب . وقيل : ان هذا اليوم ثقيل جـدا على السماء والأرض ، لأن فيه فناءهم وهلاكهم ، وذلك ثقيل على القلوب .

وقيل : ان هذا اليوم عظيم الثقل على القلوب بسبب أن الخلق يعلمون أنهم يصيرون بعدها الى البعث والحساب والسؤال والخوف من الله في مثل هذا اليوم الشديد .

---

(١) البهم : جمع بهمة ، وهى صغار الغنم . ورؤس الناس : أراد مقدمتهم وسادتهم .

(٢) لقمان/٣٤ .

(٣) الصم : جمع أصم ، وهو الذى لا يسمع شيئا . والبكم : جمـع أبكم . وهو الذى خلق أخرس ، لا يتكلم .

(٤) البخارى في الايمان ، باب سؤال جبريل النبى ﷺ جـ ١٠٦/١ و ١١٥ ومسلم فيه ، باب الاسلام والايمان والاحسان رقم ٩ و ١٠ وأبو داود في السنة باب في القدر رقم ٤٦٩٨ والنسائى في الايمان ، باب صفة الايمان والاسلام جـ ١٠١/٨ .

وهى بعد ذلك لا تأتى الا بغتة (لاتأتيكم الا بغتة) فجأة على حين غفلة من الخلق[1] .

والأولى أن ينصرف الاهتمام للتهيؤ لها والاستعداد قبل أن تأتى بغتة ، فلا ينفع معها الحذر ، ولا تجب عندها الحيطة ما لم يأخذوا حذرهم قبلها ، وما لم يستعدوا لها ، وفى الوقت متسع وفى العمر بقية ، وما يدرى أحد متى تجىء ، فأولى أن يبادر اللحظة ويسارع وألا يضيع بعد ساعة ، قد تفجؤه بعدها الساعة[2] .

ومشهد المفاجأة بمجىء الساعة ، من المشاهد التى تتكرر فى البيـان القرآنى يقول الله جل ثناؤه (هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين . يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنـا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)[3] .

هذه المفاجأة تحدث حدثا غريبا : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) بعد اذ كانوا أصدقاء رفقاء ، وان عداءهم لينبع من معين ودارهم ، فلقـد كانوا من قبل يجتمعون على الشر ، وعلى بعضهم لبعض فى الضلال ، فاليوم هم يتلاومون ، ويلقى بعضهم على بعض تبعة الضلال ، فهم خصوم يتلاومون من حيث كانوا أخلاء يتضافون (الا المتقين) فأولئك مودتهم باقيـة ، لأن اجتماعهم كان عـلى هدى وتناصحهم كان الى خـير ، فلا مجـال بينهـم للسخط والنكر .

وحينما تدع الأخلاء يتلاحمون ويتخاصمون ، ترهف آذاننا لنستمع الى التكريم الذى يناله المتقون (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

---

(١) التفسـير الكبـير للرازى ج ٨٤/١٥ وفتـح القـدير للشوكانى ج٢٧٣/٢ .
(٢) فى ظلال القرآن ج ١٤٠٩/٣ .
(٣) الزخرف/٦٦ – ٧٣ .

الذين آمنـوا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنـة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تسرون بما يشيع الحبور فى نفوسكم ويظهره فى سمائكم ثم نشهد فاذا صحاف من ذهب وأكواب يطاف بها عليهم واذا لهم فى الجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين ، ولهـم فوق ذلك الخلود فى هذا النعيـم ولهم فوق الخلود التكريم (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) ثم توكيد للنعيم وتفصيل (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) .

فما بال المجرمين .. (ان المجـرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمنـاهم ولكن كانوا هم الظالمين)(١) انهم فى عذاب جهنم خالدون وأنه لعذاب دائم وفى درجة شديدة عصيبة لا يفتر لحظة ولا يبرد هينهه ولا تلوح لهم بارقة أمل فى الخلاص منه فهم (فيه مبلسون) بائسون(٢) .

ويتحدث القرآن الكريم عن اقتراب الساعة ، وان المكذبين بها سـوف ينالون العذاب الأليم (اقتربت الساعة وانشق القمـر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر ، خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع ، يقول الكافرون هذا يوم عسر)(٣) .

فنحن أمام جماعة يكذبون بعد ما وقعت بين أيديهم الأحداث الدالة على القدرة فـ (انشق القمر . وأن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ونحن لا ندرى كيف انشق القمر ومتى ، ولكن التاريخ لا يحفظ لنا اعتراضا من الكفار على ذكر هذه الواقعة التى جبههم بها القرآن ، فليس لنا الا أن نعلم أن حادثا فلكيا ما ، وصف بهذا الوصف ، وجوبه به . القوم هذه المجابهة ، فلم يكن لهم عليه اعتراض . ثم هم يكذبون بعد ما ألقيت اليهم

---

(١) الزخرف/٧٤ .
(٢) مشاهد القيامة فى القرآن تأليف سيد قطب ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
(٣) القمر/١ ـ ٨ .

انباء المكذبين قبلهم وما وقع عليهم من العذاب الساحق فى هذه الدنيا (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) ٠

وهذا المشهد مع سرعته شاخص متحرك ،مكتمل السمات والحركات٠٠ (هذه جمــوع خارجة من الأجداث فى لحظــة واحدة (كأنهم جراد منتشر) ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور المنظر المعروض ٠ وهذه الجموع تسرع فى سيرها نحو الداعى دون أن تعرف لم يدعوها والام يدعوها ، فهو يدعو الى شىء نكر لا تدريه:(خشعا أبصارهم) وهذا يكمل الصورة ويمنحها السمة الأخيرة ، وفى أثناء هذا التجمع والخشوع والاسراع (يقول الكافرون هذا يوم عسر) ٠ فماذا بقى من المشهد لم يشخص بعد هذه الفقرات القصار؟ ان السامعين ليتخيلون الآن ذلك اليوم النكر ، فاذا هو حشد من الصور ٠ صورهم هم ــ وأنهم لمن المبعوثين ــ يتجلى فيها الهــول الحى ، يؤثر فى نفس كل حى)(١) ٠

ويرسم المشهد الثانى صورة من العذاب الحسى المعنوى والنعيم الحسى المعنوى أيضا (بل الساعة موعدهم والســاعة أدهى وأمر ان المجــرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)(٢) ٠ فها نحن أولاء فى يوم الساعة (والساعة أدهى وأمر) من كل عذاب رأوه فى الدنيا ، أو جاءتهم به الأنبــاء عمــن كذبوا فأهلكوا بالطــوفان ، وبالصيحة ، وبالريح الصرصر والصاعقة وبالاغراق ، انه أدهى وأمر من ذلك كله ٠ فالمجرمون فى ضــلال وسعر٠فى ضلال يعذب العقول والنفوس،وفى سعر يكوى الجلود والأبدان ٠ وها هم أولاء يسحبون فى النار على وجوههم فى عنف وتحقير ويزادون عذابا بالايلام النفسى (ذوقوا مس سقر) ذوقوا فنحن لا نخلق الناس ونتركهم سدى (انا كل شىء خلقناه بقدر) ولحكمة وأجل(٣) ٠

وقد أعد المولى عز وجل لمن كذب بالســاعة ســعيرا أى نارا مشــتعلة

---

(١) مشاهد القيامة فى القرآن ــ سيد قطب ص ٨١ ٠
(٢) القمر/٤٦ ــ ٥٠ ٠
(٣) مشاهد القيامة فى القرآن ص ٨٢ ٠

مستعرة (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا[1] ، وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقين كانت لهم جزاء ومصيرا)[2] .

ان من كذبوا بالساعة أعد لهم الله عز وجل جهنم تتلظى عليهم من مسيرة خمسمائة عام ، واذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم .

وقيل : المعنى اذا رأتهم خزانها سمعوا لهم تغيظا وزفيرا ، حرصا على عذابهم والأول أصح بالمروى مرفوعا إن رسول الله ﷺ قال : (من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا) . قيل يا رسول الله ولها عينان ؟ قال (أما سمعتم الله عز وجل يقول : (اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بكل من جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه «وفى رواية» فيخرج عنق من النار فليتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم» ، ذكره ابن العربى فى قبسه ، وصححه وقال : أى تفصلهم عن الخلق فى المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة ، وخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول انى وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين)[3] .

وأورد على ذلك أن التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا ، فكيف قال الله تعالى (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) ؟ .

وأجيب عن ذلك بعدة أوجه :

أحدها : أن التغيظ وان لم يسمع فانه قد يسمع ما يدل عليه من

---

(1) هذه الجملة الشرطية فى محل نصب صفة لسعير لأنه مؤنث بمعنى النار .

(2) الفرقان/11 - 15 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ 13/8 .

وتأول المعتزلة الآية الكريمة وذكروا عدة أوجه :

أحدها : قالوا : معنى (رأتهم) ظهرت لهم من قولهم دورهم تترادى وتتناظر وقال ﷺ «ان المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما» أى لا تتقابلان لما يجب على المؤمن من مجانبة الكافر والمشرك ، ويقال : دور فلان متناظرة أى متقابلة .

وثانيها : أن النار لشدة اضطرامها وغليانها صارت ترى الكفار وتطلبهم وتتغيظ عليهم .
=

الصــوت ، وهو كقــوله : (رأيت غضب الأمير على فلان) اذا رأى ما يدل عليه ، وكذلك يقال فى المحبة فكذا ها هنا والمعنى سمعوا لها صــوتا يشبه صوت المتغيظ ، وهو قول الزجاج .

وثانيها : المعنى علمــوا لها تغيظــا وسمعوا لهــا زفيرا ، وهذا قول قطـــرب .

وثالثها : المراد تغيظ الخزنة[1] .

والذى نخلص اليه أننا هنا (أمام مشهد من هذه المشاهد التى تستجيش الخيال : مشهد النار المستعرة ، وقد دبت فيها الحياة ، فاذا هى تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة وتراهم من بعيد . وتتحرق عليهم ، وتصعد الزفرات غيظا منهم ، وأنها لفى انتظارهم ، وهى تزفر غيظا ، وتتحرق نقمة ، وهم اليها فى الطريق . مشهد رهيب ، ومنظر عجيب ، ولحظات انتظار يا لها من لحظات) .

(واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) لقــد وصلوا الى هذه الغول النارية العظيمة ، المتحرقة من النقمة ، المتهيئة للانقضاض، وصلوا فلم يتركوا لهذه الغــول طلقاء يصارعونها فتصرعهم ، ويتحامونها فتغلبهم ، بل ألقوا فيهــا القــاء . وألقــوا مقــرنين قد قرنت أيديهــم الى أرجلهم فى الســلاسل ، وألقوا هنالك فى مكان ضيق يزيدهم ضيقة وكربا ، فراحوا يدعون الهلاك ينقذهم من هذا البلاء . فالهلاك اليوم أمنية المتمنى، والمنفذ الوحيد للخلاص من هذاالكرب الذى لا يطاق ... ثم ها هم أولاء يسمعون رد الدعاء ، يسمعونه تهكما ســاخرا مريرا ميئســا من الخــلاص (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا)[2] .

ويوضح لنا القرآن الكريم صورة الهول العظيم التى لا تغنى الألفــاظ عنها صورة زلزلة الساعة ، فيقول الله جل ثناؤه (يا أيها الناس اتقوا ربكم

= **وثانيهما :** قال الجبائى ان الله تعالى ذكر النار وأورد الخزنة الموكلة بتعذيب أهل النار ، لأن الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار ، فهو لقوله تعالى (واسأل القرية) أراد أهلها .

(ينظر التفسير الكبير للرازى جـ ٥٦/٢٤) .

(١) التفسير الكبير للرازى جـ ٥٦/٢٤ .

(٢) مشاهد القيامة فى القرآن ص ٩٦ .

ان زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمـا أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)(١) .

روى أن هاتين الآيتين نزلتا بالليل والناس يسيرون ، فنادى رسول الله ﷺ فاجتمع الناس حوله فقرأهما عليهم ، فلم ير باكيا أكثر من تلك الليلة ، فلما أصبحوا لم يحطوا السرج ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدور ، والناس بين باك وجالس حزين متفكر ، فقال ﷺ : «أتدرون أى ذلك اليوم هو ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : ذلك يوم يقول الله لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ولدك ، فيقول آدم : وما بعث النار ؟ - يعنى من كم كم فيقول الله عز وجل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النـار وواحد الى الجنة ، فعند ذلك يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى النـاس سكارى ، فكبر ذلك على المؤمنـين وبكوا ، وقالوا : فمـن ينجو يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانا فى قوم الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ، ثم قال : انى لأرجو أن تـكونوا ربع أهـل الجنـة ، فكـبروا ، ثم قـال : انى لأرجـو أن تـكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ، ثم قال : انى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة . ان أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها أمتى ، وما المسلمون فى الكفار الا كالشامة فى جنب البعير أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ثم قال ويدخل من أمتى سبعون ألفـا الى الجنة بغير حساب ، فقـال عمـر سبعون ألفا ؟ قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا ، فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال أنت منهم ، فقـام رجل من الأنصار فقال مثل قوله ، فقال سبقك بها عكاشة) . فخاض النـاس فى السبعين ألفا فقال بعضهم هم الذين ولدوا على الاسـلام . وقال بعضهم هم الذين آمنوا وجاهدوا مع رسول الله ﷺ فاخبروا رسول الله ﷺ بمـا قالوا ، فقال (هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)(٢) .

---

(١) الحج/١ - ٢ .
(٢) البخارى فى الرقاق ، باب الحشر جـ ٣٣٦/١١ .

٣ - يوم الحشر :

وهو عبارة عن الجمع،وقد يكون مع الفعل اكراه ، قال الله جل ثناؤه (وأرسل فى المدائن حاشرين)(١) . أى من يسوق السحرة كرها .

والحشر جمع الناس أو غيرهم . يقـال : حشرهم ويحشرهم حشرا ، والطـائفة التى تجمع محشورة ، والذى يجمعهم حاشر ، وهم حاشرون ، وحشر الشىء أهلكه(٢) .

والحشر على أربعة أوجه : حشران فى الدنيا ، وحشران فى الآخرة :

أما الذى فى الدنيا فقوله تعالى : (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر)(٣) .

قال الزهرى : كانوا من سبط(٤) لم يصبهم جلاء ، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ، فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا ، وكان أول حشر حشروا فى الدنيا الى الشام .

قال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة : من شك أن المحشر فى الشام فليقرأ هذه الآية ، وأن النبى ﷺ قال لهم : «اخرجوا» . قالوا : الى أين ؟ قال : «الى أرض المحشر» .

قال قتادة : هذا أول المحشر . قال ابن عباس رضى الله عنهما : هم أول من حشر من أهل الكتاب وأخرج من دياره .

وقيل : انهم أخرجوا الى خيبر ، وان معنى (لأول الحشر) : اخراجهم من حصونهم الىخيبر ، وآخره اخراجعمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى نجد واذرعات . وقيل تيماء وأريحاء ، وذلك بكفرهم ونقض العهد(٥) .

---

(١) الأعراف/١١١ .
(٢) معجم ألفـاظ القـرآن الكريم اعداد مجمع اللغـة العربية مادة (حشر) ص ٢٦٤ .
(٣) الحشر/٢ .
(٤) السبط : ولد الولد ، والسبط من اليهود ، كالقبيلة من العرب .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢/١٨ وفتح القدير للشوكانى ج ١٩٥/٥ .

والثانى : حشرهم قرب يوم القيامة ، قال قتادة : تأتى نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف منهم .

وروى ابن وهب عن مالك نحوه ، قال : قلت لمالك هو جلاؤهم من ديارهم ؟ فقال لى : الحشر يوم القيامة حشر اليهود(١) .

قال القاضى عياض : هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة ، وهو آخر أشراطها(٢) .

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : يحشر الناس على ثلاث طرائق(٣) : راغبين وراهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل ، معهم حيث قالوا(٤) وتصبح معهم حيث اصبحوا ، وتمسى معهم حيث أمسوا »(٥) .

وفى حديث آخر عن أبى هريرة ــ أيضا ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضىء أعناق الابل ببصرى »(٦) وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «ستخرج نار من حضر موت ــ أو من بحر حضر موت ــ قبل القيامة تحشر الناس ، قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام »(٧) ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله « فتقيل معهم حيث قالوا وتمسى معهم حيث أمسوا وتصبح معهم حيث أصبحوا »(٨) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٣/١٨ .
(٢) التذكرة للقرطبى جـ ٢٤٢/١ .
(٣) طرائق : جمع طريقة وهى الحالة .
(٤) تقيل : من القائلة ، والقيلولة : كسر الحر .
(٥) البخارى فى الرقاق ، باب كيف الحشر جـ ٣٢٦/١ .
ومسلم فى الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة حديث رقم ٢٨٦١ .
(٦) البخارى فى الفتن ، باب خروج النار جـ ٦٨/١٣ ــ ٦٩ .
ومسلم فى الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز حديث رقم ٢٩٠٢ .
(٧) الترمذى فى الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز ، حديث رقم ٢٢١٨ وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
(٨) ينظر هامش رقم (٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنفا مشاة ، وصنفا ركبانا ، وصنفا على وجوههم ، قيل : يا رسول الله ، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»(١) فقوله ﷺ : «يتقون بوجوههم كل حدب وشوك» يدل على أنه فى الدنيا ليس فى الآخرة ذلك(٢) ·

والثالث : حشرهم الى الموقف ، قال الله تعالى ذكره (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحد)(٣) وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء(٤) كقرصة النقى(٥) ليس فيها علم لأحد وفى رواية الى قوله (كقرصة النقر) ثم قال : قال سهل أو غيره (ليس فيها معلم لأحد)(٦) ·

والرابع : حشرهم الى الجنة والنار ، قال الله تعالى ذكره (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا)(٧) ·

---

(١) الترمذى فى التفسير ، باب ومن سورة بنى اسرائيل حديث رقم ٣١٤١ من حديث حماد بن مسلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أوس بن خالد عن أبى هريرة ، واسناده ضعيف ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يقوى بها ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن ·

(٢) التذكرة للقرطبى جـ ٢٤٥/١ ·

(٣) الكهف/٤٧ ·

(٤) عفراء : بيضاء ·

(٥) النقى : أراد به الخبز الأبيض الحوارى ·

(٦) البخارى فى الرقاق ، باب الحشر جـ ٣٣٠/١١ وفى تفسير سورة الفرقان ، باب قوله تعالى (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) ومسلم فى المنافقين ، باب يحشر الكافر على وجهه حديث رقم ٢٨٠٦ ·

(٧) مريم/٨٥ ·

والوفد : اسم للوافدين ، كما يقال : صوم وفطر وزور ، فهو جمع الوافد مثل : ركب وراكب وصحب وصاحب ، وهو من وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة اذا خرج الى ملك فى فتح أو أمر خطير ·

قال الجوهرى يقال : وفد فلان على الأمير ، أى ورد رسولا فهو وافد ، والجمع وفد مثل : صاحب وصحب ، وجمع الوفد : وفاد ووفود ، والاسم الوفادة ، وأوفدته أنا الى الأمير ، أى أرسلته · وفى التفسير (وفدا) أى ركبانا على نجائب طاعتهم ، وهذا لأن الوافد فى الغالب يكون راكبا ، والوفد الركبان ووحد ، لأنه مصدر ·

فالمؤمنون قادمون على الرحمن وفدا فى كرامة وحسن استقبال ، والذى يشعر بذلك التعبير بعلمه (وفدا) فانها مشعرة بالاكرام والتبجيل ، حيث أذنت بتشبيه حالة المتقين بحالة وفود الملوك وليس المراد حقيقة الوفادة من سائر الجيثيات ، لأنها تتضمن الانصراف من الموفود عليه ، والمتقون مقيمون أبدا فى ثواب ربهم عز وجل ،والكلام على تقدير مضاف ، أى الى كرامة الرحمن أو ثوابه وهو الجنة أو الى دار كرامته ، أو نحو ذلك ـ وقيل : الحشر الى الرحمن كناية عن ذلك فلا تقدير .

وكان الظاهر الضمير ، بأن يقال : يوم نحشر المتقين الينا الا أنه اختير الرحمن ايذانا بأنهم يجمعون من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة الى من يرحمهم .

ولاختيار (الرحمن) فى هذه السورة شأن ، ولعله أن مساق الكلام فيها لتعداد النعم الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ، فكأنه قيل : هنا يوم نحشر المتقين الى ربهم الذى غمرهم من قبل برحمته وشملهم برأفته ، وحاصله يوم نحشرهم الى من عودهم الرحمة ، وفى ذلك من عظيم البشارة ما فيه(١) .

أخرج جماعة عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وأخرج ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة وابن أبى حاتم وابن مردويه من طرق عن على كرم الله وجهه قال : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ، فقلت يا رسول الله هل الوفد الا الركب ؟ فقال ﷺ «والذى نفسى بيده انهم اذا خرجوا منقبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة وعليها رجال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون الى باب الجنة» وروى عن النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) قال : اما أنهم يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤمون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق الى مثلها رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد ، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة(٢) .

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ١٣٥/١٦ ـ ١٣٦ من المجلد السادس .
(٢) التفسير الكبير للرازى ج ٢٥٣/٢١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥١/١١ ـ ١٥٢ .

وقال على رضى الله عنـه لما نزلت هذه الآية قلت : يا رسـول الله انى رأيت الملوك ووفودهم فلم أر وفدا الا ركبانا ٠ قال: «يا على اذا كان المنصرف من بين يدى الله تعـالى تلقت الملائكة المؤمنـين بنـوق بيض رحالهـا وأزمتهـا الذهب على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا ، فيلبس كل مؤمن حلة ثم يشر بهـم مراكبهم فتهوى بهم النـوق حتى تنتهى بهم الى الجنـة فتتلقاهم الملائكة : (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)[1] ٠

قال القرطبى : وهذا الخبر ينص على أنهم لا يركبون ولا يلبسون الا من الموقف ، وأما اذا خرجوا من القبور فمشـاة حفـاة عراة غرلا[2] الى الموقف ، بدليل حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال : «يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله تعالى حفاة عراة غرلا – زاد فى رواية (مشاة) – وفى أخرى قال : «قام فينا رسـول الله ﷺ بموعظة ، فقال: يا أيها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنـا فاعلين)[3] الا ان أول الخـلائق بكى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ألا انه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ منهم ذات الشـمال ، فأقول : يا رب أصحاب ، فيقـول : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شـهيد ان تعذبهم فانهم عبـادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيـم)[4] ٠ قال فيقال لى : بأنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ٠ وفى أخرى للترمذى : أن النبي ﷺ قال : يحشرون حفاة عراة غرلا ، فقـالت امرأة : أيبصر – أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : يا فلانة لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)[5،6] ٠

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٥٢/١ ٠
(٢) الغرل : جمع الأغر وهو : الأقلف ٠
(٣) الأنبياء/١٠٤ ٠
(٤) المائدة/١١٧ ٠
(٥) القيـامة/٣٧ ٠
(٦) البخارى فى الرقاق ، باب كيف الحشر ج ٣٣١/١١ – ٣٣٣ وفى الأنبياء ، باب قول الله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) وباب (واذكر فى =

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يحشر الناس حفاة عراة غرلا ، قالت عائشة رضى الله عنها ، فقلت : الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك» وفى لفظ للنسائى فى رواية أخرى قال : «لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه»(١) .

ولا يبعد أن تحصل الحالتان للسعداء ، فيكون حديث ابن عباس رضى الله عنهما مخصوصا وسمى المتقون وفدا ، لأنهم يسبقون الناس الى حيث يدعون اليه فهم لا يتباطئون ، لكنهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات ، قال الله تعالى (وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون)(٢) فيزيدهم ذلك اسراعا ، وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم فى الدنيا بالطاعات . وقد قابل سبحانه ذلك بقوله جل ثناؤه (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا)(٣) أى عطاشا وأصله : مصدر ورد أى سار الى الماء ، قال الراجز :

ردى ردى ورد قطاة صما ن كدربة أعجبها برد الما

واطلاقه على العياش مجاز لعلاقة اللزوم،لأن من يرد الماء لا يرده الا لعطش ، وجوز أن يكون المراد من الورد الدواب التى ترد الماء والكلام على التشبيه ، أى نسوقهم كالدواب التى ترد الماء . وفى لفظ : (الورد) تهكم واستخفاف عظيم لاسيما وقد جعل المورد جهنم أعاذنا الله تعالى منها

= الكتاب مريم) وفى تفسير سورة المائدة،باب (وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) وفى سورة الأنبياء ، باب (كما بدأنا أول خلق نعيده) .

مسلم فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة حديث رقم ٢٨٦٠ . والترمذى فى القيامة ، باب ما جاء فى شأن الحشر حديث رقم ٢٤٢٥ و ٣٣٢٩ فى التفسير ، باب ومن سورة عبس . والنسائى فى الجنائز ، باب البعث جـ ١١٤/٤ .

(١) البخارى فى الرقاق ، باب الحشر جـ ٣٣٤/١١ ومسلم فى الجنة ، باب فناء الدنيا وباب الحشر حديث رقم ٢٨٥٩ والنسائى فى الجنائز،باب البعث جـ ١١٤/٤ .

(٢) الأنبياء/١٠٣ .

(٣) مريم/٨٦ .

برحمته[1] .

والذى نخلص اليه أن معنى الورد فى اللغة هو اتيان الماء على خلاف الصدد ، وانما أطلق تعبير ورد فى الآية الكريمة على العطاش ، لأن من يرد الماء لا يرده الا لعطش .

هذا وقد وصف القرآن الكريم شراب المجرمين بالصديد والمهمل ، والحميم ، والغساق ، أما شراب الصديد فان المولى عز وجل يقول : (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ)[2] والصديد هو ما يخرج من جلود المعذبين فى النار من قيح ودم[3] . وان استغاث هؤلاء المجرمون ، فانهم يغاثون بماء كالمهل . يقول الله عز شانه : (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)[4] .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : المهل الماء الغليظ مثل درى الزيت . وقال مجاهد هو كالدم والقيح . وقال عكرمة : هو الشىء الذى انتهى حره وقال قتادة : أذاب ابن مسعود شيئا من الذهب فى أخدود فلما (نما) وأزبد قال : هذا أشبه بالمهل .

وقال الضحاك هو : ماء جهنم أسود ، وهى سوداء وأهلها سود . وقال ابن كثير قال ابن كثير : وهذه الاقوال ليس شىء منها ينفى الآخر ، فان المهل يجمع كل هذه الاوصاف الرذيلة كلها ، فهو أسود منتن غليظ حار ، ولهذا قال : (يشوى الوجوه) أى من حره اذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواه حتى تسقط جلدة وجهه[5] .

ومن شراب أهل النار أيضا الحميم ، قال الله تعالى : (وسقوا ماء

---

(١) روح المعانى للألوسى جـ ١٣٦/١٦ من المجلد السادس والكشاف جـ ٥٤٢/٢ .
(٢) ابراهيم : ١٥ ــ ١٧ .
(٣) جامع البيان للطبرى١٩٥/١٣والكشاف للزمخشرى جـ ٢٧١/٢ .
(٤) الكهف/٥٩ .
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٨١/٣ .

حميما فقطــع أمعاءهم)[1] وقال عز شــأنه (فشــاربون عليه من الحميــم فشــاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين)[2] • وقال الله جل ثناؤه (ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم)[3] والحميم هو الماء المغلى الذى يتنــاهى حره[4] :

ومن شرابهم أيضا الفساق،قال الله تعالى (هذا فليذوقوه حميم وغساق)[5] والغساق هو الزمهرير أو البرد الذى لا يطاق ، فالحميم يحرق بحــره ، والغســاق يحــرق ببرده[6] فهــو ضــد الحميــم ، وهو لشــدة برده المؤلم لا يستطاع[7] •

ويتحــدث القــرآن الكريم عن المجرمين ـ أيضــا ـ فيقول الله تعالى (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا)[8] •

والزرق : خلاف الكحل ، والعرب تتشاءم بزرق العيــون وتذمه ، أى تشوه خلقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم •

وقال الكلبى والفراء : (زرقا) أى عميا • وقال الأزهرى : أى عطاشا قد ازرقت أعينهم من شدة العطش ، وقاله الزجاج ، قال : لأن سواد العين يتغير ويزرق من العطش ، وقيل : أنه الطمع الكاذب اذا تعقبته الخيبة ، يقال : ابيضت عينى لطول انتظارى لكذا •

وقول خامس : ان المراد بالزرقة شخوص البصر من شــدة الخوف ، قال الشاعر :

لقد زرقت عيناك يا بن معكبر   كما كل منبتى من اللؤم أزرق

---

(١) محمــد/٥ •
(٢) الواقعة/٥٤ ـ ٥٦ •
(٣) الصــافات/٦٧ •
(٤) جامع البيــان للطــبرى جـ ١٧/١٣٣ والكشــاف للزمخشرى جـ ٣/٥٠٦ •
(٥) سورة ص/٣٧٩ •
(٦) الكشاف جـ٣ /٣٧٩ •
(٧) تفسير القرآن العظيم جـ ٤/٤١ •
(٨) طه/١٠٢ •

يقال : رجل أزرق العين ، والمرأة زرقاء بينة الزرق ، والاسم الزرقة ، وقد زرقت عينه بالكسر وازرقت عينه ازرقاقا ، وازراقت عينه ازريقاقا .

وقال سعيد بن جبير : قيل لابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) . وقال فى موضع آخر (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما)[1] فقال : ان ليوم القيامة حالات ، فحالة يكونون فيها زرقا ، وحالة عميا[2] .

والذى يبدو لى أن الزرقة – على حد تعبير الزمخشرى – توحى ببشاعة الصورة التى يحشر عليها المجرمون حيث قيل فى الزرقة قولان :

أحدهما : أن الزرقة أبغض شىء من ألوان العيون الى العرب ، لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا : فى صفة العدو : أسود الكبد ، أصهب السبال ، أزرق العين .

والثانى : أن المراد العمى ، لأن حذفه من يذهب نور بصره تزرق[3] .

وقال الله تعالى ذكره عن المجرمين (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا)[4] أى يحشرون ماشين على وجوههم ، فقد روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف:صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم اما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»[5] وهذا يحتمل أن يكون عبس وجوههم وسائر ما فى جهتها من صدورهم وبطونهم ونحوها الأرض ، وأن يكون بنكسهم على رءوسهم ، وجعل وجوههم الى ما يلى الأرض وارتفاع أقدامهم وسائر أبدانهم ، ولعل الحديث أظهر فى الأول[6]

---

(١) الاسراء/٩٧ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٢٤٤/١١ .
(٣) الكشاف جـ ٥٥٣/٢ .
(٤) الفرقان/٣٤ .
(٥) الترمذى فى التفسير ، باب ومن سورة بنى اسرائيل حديث رقم ٣١٤١ من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن أوس ابن خالد عن أبى هريرة واسناده ضعيف ، ولكن للحديث شواهد بمعناها يقوى بها ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن .
(٦) روح المعانى للألوسى جـ ١٧/١٩ من المجلد السابع .

وقيل : ان الملائكة عليهم السلام تسحبهم وتجرهم على وجوههم الى جهنم والأمر عليه ظاهر لا غرابة فيه .

وقيل الحشر على الوجه مجاز عن الذلة المفرطة والخزى والهوان .

وقيل هو من قول العرب مر فلان على وجهه اذا لم يدر أين ذهب .

وقيل الكلام كناية أو استعارة تمثيلية والمراد أنهم يحشرون متعلقة قلوبهم بالسفليات من الدنيا وزخارفها متوجهة وجوههم اليها(١) .

والذى يبدو لى أن الرأى الأول هو الأولى بالصواب ، ويؤيد ذلك ما روى عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم ، أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله ﷺ : أليس الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ .

قال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا(٢) .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : ان الصادق المصدوق حدثنى ان الناس يحشرون ثلاثة أفواج فوجا(٣) راكبين طاعمين كاسين ، وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار ، وفوجا يمشون ويسقون ، يلقى الله الآفة على الظهر فلا يبقى ، حتى ان الرجل لتكون له الحديقة(٤) يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها(٥) .

الجمع بين آيات وردت فى القرآن الكريم ظاهرها التعارض :

قال الله تعالى ذكره (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم)(٦) . وقال الله جل ثناؤه (ونحشرهم يوم القيامة على

---

(١) السابق : جـ ١٧/١٩ .
(٢) البخارى فى الرقاق ، باب الحشر جـ ٣٣٠/١١ وفى تفسير سورة الفرقان ، باب قوله (الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) .
ومسلم فى المنافقين ، باب يحشر الكافر على وجهه حديث رقم ٢٨٠٦ .
(٣) الفوج : الجماعة من الناس .
(٤) حديقة : الحديقة : البستان الذى قد جعل عليه حائط يحدق به .
(٥) النسائى فى الجنائز ، باب البعث جـ١١٦/٤ واسناده حسن .
(٦) يس/٥٢ .

وجوههم عميا وبكما وصما)[1] وقال تعـالى ذكره (يا ويلنا من بعثنـا من مرقدنا)[2] وهذا كلام مضـاد للبكم ، والتعـارف تخاطب ، وهو مضـاد للصمم والبكم معا ٠

وقال الله تعالى ذكره (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين)[3] والسؤال لا يكون الا بالاسماع والا لناطق يتسمع للجواب ٠

وقال الله تبارك وتعالى (ونحشر المجرمين ، يومئذ زرقا)[4] وقال الله عز وجل (فاذا هم من الأجداث الى ربهـم ينسلون)[5] وقال الله تعـالى ذكره (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهـم الى نصب يوفضـون[6] والنسلان والاسراع مخالفا للحشر ٠

وأجيب عن ذلك بأن الناس اذا أحيوا وبعثوا من قبـورهم فليست حالهم حالة واحدة ولا موقفهم ومقامهم واحدا ، ولكن لهم مواقف وأحوال، واختلفت الأخبار عنهم ، لاختلاف مواقفهم وأحوالهم ، وجملة ذلك أنهـا خمسة أحوال : حال من البعث من القبور ، والثانية حال السوق الى موضع الحساب والثالثة حال المحاسبة ، والرابعة حال السـوق الى دار الجـزاء والخامسة حال مقامهم في الدار التى يستقرون فيها :

فأما حال البعث من القبـور : فان الكفـار يكونون كاملى الحـواس والجوارح ، لقول الله عز وجل (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم[7] ، وهذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح ، يقول بعضهم لبعض:أنت أضللتنى وأغويتنى وحملتنى على الكفر ، وليس تعارف شفقة ورأفة وعطف ، ثم تنقطع المعرفة اذا عاينوا أهوال يوم القيامة ، كما قال : (ولا يسأل حميم حميما)[8] ٠

---

(١) الاسراء/٩٧ ٠
(٢) يس/٥٢ ٠
(٣) الأعراف/٦ ٠
(٤) طه/١٠٢ ٠
(٥) يس/٥١ ٠
(٦) المعارج/٤٣ – ٤٤ ٠
(٧) يونس/٤٥ ٠
(٨) المعارج/١٠ ٠

وقيل : يبقى تعارف التوبيخ ، وهو الصحيح لقوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ـ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله نجعل له اندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)(1) .

وقال تعالى : (يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا)(2) وقال عز شانه (فاذا هم قيام ينظـرون)(3) . وقال الله جل ثناؤه (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين . قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين . قال : ان لبثتم الا قليـلا لو أنكم كنتم تعلمون . أفحسبتم أنما خلقناكم عبثـا وأنكم الينـا لا ترجعون)(4) .

والحال الثانية : حال السوق الى موضع الحساب ، وهم أيضا في هذه الحـال بحواس تامة ، لقوله تعالى ذكره (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم أنهم مسئولون)(5) ومعنى (فاهدوهم) أي دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم، ولاسؤال لأبكم ، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع والسنة ناطقة .

والحال الثالثة : وهي حالة المحاسبة ، وهم يكونون فيها أيضا كاملي الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرءوا كتبهم الناطقة بأعمالهم وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها ، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقـولون : (مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها)(6) وأنهم يقولون لجلودهم (لم شهدتم علينا)(7) وليشاهدوا أحوال القيامة ، وما كانوا مكذبين

---

(1) سـبأ/31 ـ 33 .
(2) طه /103 .
(3) الزمر/68 .
(4) المؤمنون/112 ـ 115 .
(5) الصافات /22 ـ 24 .
(6) الكهف/49 .
(7) فصلت/21 .

فى الدنيا به من شهدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها .

وأما الحالة الرابعة وهى السوق الى جهنم ، فانهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم والسنتهم ، لقوله عز وجل (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم)(١) ويحتمل أن يكون قوله تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام)(٢) اشارة الى ما يشعرون به من سلب الابصار والأسماع والمنطق .

والحالة الخامسة : حال الاقامة فى النار ، وهذه الحالة تنقسم الى : بدو ومآل ، فبدوها أنهم اذا قطعوا المسافة التى بين موقف الحساب وشفير جهنم عميا وبكما وصما اذلالا لهم تمييزا عن غيرهم،ثم ردت الحواس اليهم ليشاهدوا النار ، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب، وكل ما كانوا به مكذبين فيستقرون فى النار ناطقين سامعين مبصرين ، ولهذا قال الله جل ثناؤه : (وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى)(٣) وقال الله تعالى ذكره (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون،وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)(٤) وقال الله جل ثناؤه (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالو بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما أنزل الله من شىء)(٥) وأخبر ، المولى عز وجل أنهم ينادون أصحاب الجنة فيقولون (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)(٦) . وأن أهل الجنة ينادونهم (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا : نعم)(٧) . وانهم يقولون (يا مالك ليقض علينا ربك)(٨)

---

(١) الاسراء/٩٧ .
(٢) الرحمن/٤١ .
(٣) الشورى/٤٥ .
(٤) الأعراف/٣٨ ـ ٣٩ .
(٥) الملك/٨ ـ ٩ .
(٦) الأعراف/٥٠ .
(٧) الأعراف/٤٤ .
(٨) الزخرف/٧٧ .

فيقول لهم: (انكم ماكثون)[1] وأنهم يقولون لخزنة جهنم (ادعوا ربكم يخفف عنـا يوما من العذاب)[2] فيقولون لهم (أو لم تاتكم رسلكم بالبينـات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال)[3] .

وأما العقبى والمآل ، فانهم اذا قالوا : (أخرجنا منهـا فان عدنا فانا ظالمون)[4] فقال الله تعالى لهم : (اخسئوا فيها ولا تكلمون)[5] .

روى الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .
(يلقى على أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة ، فيتذكرون أنهم كانوا يجيزون القصص فى الدنيا بالشراب ، فيدفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فاذا أوتى من وجوههم ، شوت وجوههم ، فاذا دخل بطونهم قطع ما فى بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم عساهم يخففون عنا ، فيقـولون لهم (ألم تك تاتيكم رسـلكم بالبينـات . قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضـلال)[6] فيقولون : ادعوا مالكا فيقـولون : (يا مالك ليقض علينـا ربك) فيجيبهم (انكم ماكثون)[7] .

قال الأعمش : نبئت أن بين دعائهم واجابة مالك لهم مقدار ألف عام ، فيقولون : ادعوا ربكم ، فلا تجدون خيرا منه ، فيقولون : (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنـا قوما ضـالين ، ربنا أخرجنا منهـا فان عدنا فانا ظالمون[8] قل : فيجيبهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون)[9] فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل)[10] .

---

(١) الزخرف/٧٧ .
(٢) غافر/٤٨ .
(٣) غافر/٥٠ .
(٤) المؤمنون/١٠٧ .
(٥) المؤمنون/١٠٨ .
(٦) غافر/٥٠ .
(٧) الزخرف/٧٧ .
(٨) المؤمنون/١٠٦ ـ ١٠٧ .
(٩) المؤمنون/١٠٨ .
(١٠) الترمذى فى صفة جهنم، باب ما جاء فى صفة طعام أهل النار =

وكتب عليهم الخلود بالمثل الذى يضرب لهـم ، وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى (الموت ، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار ، وينادوا : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النـار خلود فلا موت ، روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح[1] فينادى مناد : يا أهل الجنة ٠ فيشرئبون[2] وينظرون، فيقول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه ٠ ثم ينادى مناد : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظـرون ، فيقـول لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، فيذبح بين الجنة والنار[3] ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ (وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنـون)[4] وأشـار بيده الى الدنيـا)[5] وفى لفظ قال : «اذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح ، فيوقف بين الجنـة والنار فيذبح وهم ينظـرون ، فلو ان أحدا مات فرحا لمات أهل الجنـة ، ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار)[6] ٠

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (اذا صار أهل الجنة الى الجنة ، وأهل النار الى النار : جىء بالموت حتى يجعل

= واسـناده ضعيف ، قال الترمذى قال عبـد الله بن عبد الرحمن ـ يعنى الدارمى ـ والناس لا يعرفون هذا الحديث ، قال انما روى هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قوله ، وليس بمرفوع ٠

(١) الأملح : المختلط البياض والسواد ٠

(٢) اشرأب الى الشىء اذا تطلع اليه ومالت نحوه نفسه ٠

(٣) فيذبح : شبه اليأس من مفارقة الحالتين فى الجنة والخلود فيها بحيوان يذبح فيموت ، فلا يبقى رجاء له ولا وجود،وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما واخراج من يخرجه الله من النار فى اليأس من مفارقة حالتيهما وانقطاع الرجاء من زوالها ٠

(٤) مريم/٣٩ ٠

(٥) البخارى فى تفسير سورة مريم ، باب قوله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة) ج ٣٢٥/٨ ومسلم فى الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ٠

(٦) الترمذى فى الجنة ، باب ما جاء فى خلود أهل الجنة والنـار حديث رقم ٢٥٦١ ٠

بين الجنة والنار فيذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ، وأهل النـار حزنا الى حزنهم)(١) وسلبوا فى ذلك الوقت أسماعهم ، وقد يجوز أن يسلبوا الابصار والكلام ، لكن سلب السمع يقين ، لأن الله عز وجل يقول : (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون)(٢) فاذا سلبوا الأسماع صـاروا الى الزفير والشهيق .

ويحتمل أن تكون الحكمة فى سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه وتعالى على ألسنةرسله فلم يجيبوه ، بل جحدوه ، وكذبوا به بعـد قيام الحجة عليهم بصحته ، فلما كانت حجة الله عليهم فى الدنيـا الاستماع عاقبهم على كفرهم فى الآخرة بسلب الأسماع ، يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبى ﷺ (فى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب)(٣) وما حـكاه المولى عز وجل عنهم (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه)(٤) وأين قوم نوح عليه السلام كانوا يستغيثون ثيابهم تسترا منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه ، وقد أخبر المولى عز وجل عن الكفار فى وقت نبينا محمد ﷺ مثله ، فقال عز من قائل (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم)(٥) وأين سلبت ابصارهم فلأنهم أبصروا الغير فلم يعتبروا والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا ، فهذا وجه الجمع بين الآيات(٦) .

---

(١) البخارى فى الرقاق ، باب صفة الجنة والنـار ، وباب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب جـ ٣٦١/١١ و ٣٦٢ ومسلم فى الجنـة ، باب النار يدخلها الجبارون حديث رقم ٢٨٥٠ .

(٢) الأنبياء/١٠٠ .

(٣) فصلت/٥ .

(٤) فصلت/٢٦ .

(٥) هود/٥ .

(٦) التذكرة للقطربى جـ ٢٥٢/١ بتصرف .

٤ ـ يوم العـــــرض :

قال الله جل ثناؤه (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيـة ، فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرؤوا كتابية انى ظننت انى ملاق حسابية فهو فى عيشـة راضية فى جنـة عالية قطوفهـا دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابية • يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عنى مالية هلك عنى سلطانية • خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه • ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم)(١) أى تعرضـون على الله عز وجل ، دليله قوله تبارك وتعالى (وعرضوا على ربك صفا)(٢) وليس ذلك عرضـا يعلم به ما لم يكن عالما به ، وانما هو عرض الاختبـار والتوبيخ بالأعمال(٣) •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان ، فجدال ومعاذير ، وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى ، فأخذ بيمينه ،وأخذ بشماله»(٤)•

وجملة (لا تخفى منكم خافية) فى محل نصب على الحـال من ضمير «تعرضون» أى تعرضون حال كونه لا يخفى على الله سـبحانه من ذواتكم وأحوالكم وأفعالكم خافية كائنة ما كانت ، والتقدير : أى نفس خافية ، أو فعلةخافية (٥) • فالكل مكشوف • مكشـوف الجسـد ، مكشـوف النفس ، مكشوف الضمير ، مكشوف العمل ، مكشوف المصير ، وتسقط جميع الأستار التى كانت تحجب الأسرار ، وتتعرى النفوس تعـرى الأجسـاد ، وتبرز الغيوب بروز الشهود ، ويتجرد الانسان من حيطته ومن مكره ومن تدبيره

---

(١) الحاقة/١٨ ـ ٣٣ •
(٢) الكهف/٤٨ •
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٦٧/١٨ بتصرف •
(٤) الترمذى فى صفة القيامة ، باب ما جاء فى العـرض رقم ٢٤٢٧ واسناده ضعيف ، لأن الحسن البصرى لم يسمع من أبى هريرة ولا من أبى موسى الأشـعرى ، وأخرجه البيهقى فى البعـثة بسند حسـن عن عبـد الله بن مسعود موقوفا •
(٥) فتح القدير للشوكانى ج ٢٨٢/٥ •

ومن شعوره ، ويفتضح منه ما كان حريصا على أن يستره حتى عن نفسه وما أقسى الفضيحة على الملأ ، وما أخزاها على عيون الجموع .

أما عين الله فكل خافية مكشوفة لها في كل آن ولكن لعل الانسان لا يشعر بهذا حق الشعور وهو مخدوع بستور الأرض ، فها هو ذا يشعر به كاملا ، وهو مجرد في يوم القيامة ، وكل شيء بارز في الكون كله . الأرض مدكوكة مسواة لا يحجب شيئا وراء نتوء ولا بروز ، والسماء متشققة واهية لا تحجب وراءها شيئا ، والأجساد معراه لا يسترها شيء ، والنفوس كذلك مكشوفة ليس من دونها ستر وليس فيها سر !

ألا انه لأمر عجيب أعصب من دك الأرض والجبال ، وأشد من تشقق السماء وقوف الانسان عريان الجسد ، عريان النفس ، عريان المشاعر ، عريان التاريخ ، عريان العمل ما ظهر منه وما استتر أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله تعالى من الانس والجن والملائكة ، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع(١) .

وان طبيعة الانسان لمعقدة شديدة التعقيد ، ففي نفسه منحنيات شتى ودروب تتخفى ، فيها نفسه ، وتتدسس عبث بمشاعرها ونزواتها وهفواتها وخواطرها وأسرارها وخصوصياتها ، وان الانسان ليصنع أشد مما تصنعه القوقعة الرخوة اللامية حين تتعرض لوخزة ابرة فتنطوي سريعا وتتكمش داخل القوقعة ، وتقلق على نفسها تماما . ان الآنسان يوضع أشد من هذا حين يحس أن عينا تدسست عليه فكشفت منه شيئا مما يخفيه ، وأن لمحة أصابت منه وربا خفيا ، أو منحنى سريا . ويشعر بقدر عنيف من الألم الواخز حين يطلع عليه أحد في خلوة من خلواته الشعورية .. فكيف بهذا المخلوق وهو عريان .. عريان حقا . عريان الجسد والقلب والشعور والنية والضمير . عريان من كل ساتر . عريان .. كيف به وهو كذلك تحت عرش الجبار ، وأمام الحشد الزاخر بلا ستار .

ألا أنه لأمر من كل أمر !!!(٢)

---

(١) في ظلال القرآن جـ ٣٦٨٠/٦ .
(٢) السابق : جـ ٣٦٨٠/٦ .

وبعدئذ تعرض الآيات مشهد الناجين والمعـذبين ، كأنه حاضر تراه العين ، وانك : لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص الى القلب فى اللذة والحلاوة فى حال ، والى الروعة ، والمهـابة فى أخرى ، ما يخلص منه اليه ، تستبشر له النفس ، وتنشرح له الصـدور ، حتى اذا ما أخذت حظها منه ، عادت مرتاحة قد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والغرق ، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب)(١) . يقول الله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول : هاؤم أقرؤوا كتابيـة انى ظننت أنى ملاق حسابية ، فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا وأشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية)(٢) فها نحن هنا مع مشهد الناجى المطمئن الذى تملأ الفرحة قلبه ، ويهتف (هاؤم اقرءوا كتابية) ، ثم يذكر فى بهجة أنه لم يكن يصدق أنه ناج ، بل كان يتوقع أن يناقش الحساب ـ ومن نوقش الحساب عذب كما حرى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ من نوقش الحساب عذب فقلت : اليس يقول الله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا(٣) فقال : (انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك)(٤) .

وفى الصحيح من حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى(٥) ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدنى الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها ، حتى أذا رأى أنه قد هلك ، قال الله تعالى : انى سترتها عليك فى الدنيـا ، وأنا أغفـرها لك اليوم ، ثم يعطى كتـاب حسناته بيمينـه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين(٦) .

---

(١) ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن ص ٦٤ ـ الخطابى .
(٢) الحاقة/١٩ ـ ٢٤ .
(٣) الانشقاق/٧ ـ ٩ .
(٤) البخارى فى العلم ، باب من سمع شيئا فراجع حتى يعـرفه جـ ١٧٦/١ وفى تفسير (اذا السـماء انشقت) ، وفى الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب .
ومسلم فى الجنة ، باب اثبات الحساب حديث رقم ٢٨٧٦ .
وأبو داود فى الجنائز ، باب عبادة النساء رقم ٣٠٩٣ .
والترمذى فى صفة القيامة ، باب من نوقش الحساب عذب .
(٥) النجوى : فى الأصل السر والمراد به مناجاة الله تعالى للعبد يوم القيامة .
(٦) البخارى فى المظالم ، باب قول الله تعالى (ألا لعنة الله على =

ونتظر فى الجانب الآخر من ساحة العرض لنرى ذلك الذى أوتى كتابه بشماله : (لقد أدركته الحسرة ، وركبته الندامة ، فلنسمعه يتوجع توجعا طويلا ، وقد ثبت المشهد كأنه لا يتحرك (ياليتنى لم أوت كتابية ولم أدر ما حسابية ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى مالية هلك عنى سلطانية) فلا المال أغنى أو نفع ولا السلطان بقى أو دفع ، والرنة الحزينة المديدة الا الأمر العلوى الجازم بجلاله وروعته (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم) .

يا للهول الهائل . وياللرعب القاتل . ويا للجلال الماثل !

(خذوه) كلمة تصدر من العلى الأعلى ، فيتحرك الوجود كله على هذا المسكين الصغير الهزيل ، ويتبدده المكلفون بالأمر من كل جانب ، كما يقول ابن أبى حاتم باسناده عن المنهال بن عمرو:«اذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك . أن الملك منهم ليقول هكذا فيلقى سبعين ألفا فى النار» . كلهم يبتدر تلك الحشرة الصغيرة المكروبة المذهولة . (فغلوه) فأى السبعين ألفا بلغه جعل الغل فى عنقه (ثم الجحيم صلوه) وتكاد تسمع كيف تشويه النار وتصليه .. (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) وذراع واحدة فى سلاسل النار تكفيه . ولكن ايحاء التطويل والتهويل ينضح من وراء السبعين وصورتها ، ولعل هذا الايحاء هو المقصود(١) .

= الظالمين)ج ٧٠/٥وفى تفسير سورة هود باب قوله تعالى(ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ، وفى الأدب ، باب ستر المؤمن على نفسه وفى التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم ، ومسلم فى التوبة باب توبة القائل وان كثر فعله حديث رقم ٢٧٦٨ .
(١) فى ظلال القرآن جـ ٣٦٨٢/٦ .

٥ ـ يوم الخــــروج :

قال الله تعالى (يوم يخرجون من الأجداث[١] سراعا كأنهم الى نصب يوفضون[٢] خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون)[٣] فهؤلاء الخارجون من القبور يسرعون الخطى ، كأنهم ذاهبون الى نصب يعبدونه ، وفى هذا التهكم تناسق مع حالهم فى الدنيا ، لقد كانوا يسارعون الى الأنصاب فى الأعياد ويتجمعون حولها ، فها هم أولاء يسرعون اليوم ، ولكن شتان بين يوم ويوم ٠

ثم تتم سماتهم بقوله عز وجل (خاشعة أبصارهم) الخ فتلمح من خلال الكلمات سيماهم كاملة ، وترتسم لنا من قسامتهم صورة واضحة ذليلة عانية ٠٠٠ لقد كانوا يخوضون ويلعبون ، فهم اليوم أذلاء مرهقون وذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ، فكانوا يستريبون فيه ويكذبون ويستعجلون[٤] ٠

---

(١) الأجداث : جمـع جدث وهو القـبر ويوم : بدل من (يومهـم) و (سراعا) منصوب على الحال من ضمير (يخرجون) ٠

(٢) النصب : ما نصب فعبد من دون الله ، والجمع الأنصاب ، قال الأعشى :

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ولا تعبد الشيطان والله فأعبدا

وقال الأخفش والفراء : النصب : جمع النصب ، مثل : رهن ورهن ، والأنصاب جمع النصب فهو جمع الجمع ٠ وقيل : النصب جمع نصاب وهو حجر أو صنم يذبح عليه ٠ وقيـل معنى الى نصب الى غاية ، وهى التى تنصب اليها بصرك ٠ وقيل : الى شىء منصوب علم أو راية ، أى كأنهم الى علم يدعون اليه ، أو راية تنصب لهم يوفضون ٠

قال الحسن : كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى أولهم على آخرهم ٠ وقيل : (النصب) شبكة الصائد يسرع اليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته ٠ ومعنى (يوفضون) يسرعون والايفــــاض : الاسراع ، يقــــال : أوفض ايفاضــــا ، أى أسرع اسراعا ٠ و (خاشعة أبصارهم) على الحال من ضمير (يوفضون) وأبصارهم مرتفعة به ٠ والخشوع : الذلة والخضوع ، أى لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب ٠ (ترهقهم ذلة) أى تغشاهم ذلة شديدة ، وهى سـواد الوجوه ، ومنه غلام مراهق اذا غشيه الاحتلام ٠

(٣) المعارج/٤٣ ـ ٤٤ ٠

(٤) فى ظلال القرآن جـ ٦/٣٧٠٣ ومشاهد القيامة فى القرآن ص١٨٧٠

٦ ـ يوم النشـــــور :

وهو عبـارة الاحيـاء ، يقـال : قد أنشر الله الموتى ، فنشروا ، أى أحيـاهم الله فحيوا ، ومنه قوله جل ثنـاؤه : (وانظر الى العظـام كيف ننشزها)[١] أى كيف نحييها ، وقرأ الحسن (ننشرها) من (نشر) الله الموتى بمعنى أنشرهم فنشروا . وقرىء بالزاى بمعنى تحركهـا ونرفع بعضهـا الى بعض للتركيب[٢] .

وقد أخرج الحاكم وصححه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسـول الله ﷺ قرأ (كيف ننشزها) بالزاى

وعلى هذا فان معنى القراءة بالراء المهملة ـ من أنشر الله الموتى ـ أحياهم ، وأما القراءة بالزاى فمعناها نرفعها ، ومنه النشز ، وهو المرتفع من الأرض ، أى يرفع بعضها الى بعض .

---

(١) البقرة/٢٥٩ .
(٢) الكشاف جـ ٣٩١/١ .

٧ ـ الآزفة :

الآزفة : القيامة ، سميت بذلك لأزفتها ، أى قربها ، ويوم الآزفة هو يوم القيـامة . قال الله تعالى (أزفت الآزفة)[١] أى قربت الساعة الموصوفة بالقرب فى غير آية من القرآن الكريم . فأل فى (الآزفة) كالعهد لا للجنس ، وقيل : (الآزفة) علم بالغلبة للساعة هنا ، وقيل لا بأس بارادة الجنس ، ووصف القريب بالقرب للمبالغة[٢] ، وقد جاء هذا النذير يحذركم اياها ، أو هو هول العذاب الذى لا يعلم الا الله نوعه وموعده ، ولا يملك الا الله كشفه ودفعه (ليس لها من دون الله كاشفة)[٣] والمراد بالكشف الازالة ،وقريب من هذا ما روى عن قتـادة وعطـاء والضحاك أى اذا غشيت الخـلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد ، أو ليس لهـا ، لأن نفس كاشفة أى مزيلة للخوف منهـا فانه باق الى أن يأتى الله سـبحانه بهـا وهو مراد الزمخشرى بقوله : أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير[٤] . وقيل : معناه لو وقعت الآن لم يردها الى وقتهـا أحد الا الله تعـالى ، فالكشف بمعنى التأخير وهو ازالة مخصوصة[٥] .

وقال الطـبرى والزجاج : المعنى ليس لهـا من دون الله تعـالى نفس كاشـفة تكشف وقت وقوعها وتبينه ، لأنها من أخفى المغيبـات ، فالكشف بمعنى التبيين[٦] . والآية كقوله تعالى (لا يجليها لوقتها الا هو)[٧] .

ويوم الآزفة هو يوم القيامة ، قال الله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة)[٨] يقـول الله تعـالى ذكره لنبيه ـ ﷺ ـ وأنذر يا محمد مشركى قومك (يوم الآزفة) يعنى يوم القيامة أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة فيستحقوا من الله عقابه الأليم .

---

(١) النجم/٥٧ .
(٢) روح المعانى للألوسى جـ ٧١/٢٧ من المجلد التاسع .
(٣) النجم/٥٨ .
(٤) الكشاف للزمخشرى جـ ٣٥/٤ .
(٥) روح المعانى للألوسى جـ ٧١/٢٧ من المجلد التاسع .
(٦) جامع البيان للطبرى جـ ٤٨/٢٧ .
(٧) الأعراف/١٨٧ .
(٨) جامع البيان للطبرى جـ ٣٤/٢٤ .

وقال أبو مسلم (يوم الازفة) يوم المنية وحضورا لأجل ، لأنه تعـالى ذكره يوم القيامة فى قوله (يوم التلاق يوم هم بارزون)[1] فناسب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ، ولأنه تعالى وصف يوم الموت بنحو هذه الصفة فى مواضـع أخرى ، قال عز شـأنه : (فلولا اذا بلغت الحلقـوم)[2] وقال عز وجل (كلا اذا بلغت التراقى)[3] ولا ريب أن الرجل عند معاينة امارات الموت يعظم خوفه ، فلو جعلنا كون القلوب لدى الحناجر كناية عن شـدة الخوف جاز ، ولو حملناه على ظاهره فلا بأس[4] .

والذى نخلص اليه أن (يوم الآزفة) هو يوم القيـامة ، سميت بذلك لأنها قرينة ، اذ كل ما هو آت قريب . وأزف فلان ، أى قريب بأزف أزفا ، قال النابغة الزبيانى :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنـا وكان قد

ونظير هذه الآية قوله تعالى (أزفت الآزفة) أى قربت الساعة ، وكان بعضهم فيمثل ويقول :

أزف الرحيل وليس لى من زاد غير الذنوب لشقوتى ونكادى

وقال أبو مسلم (يوم الأزفة) : يوم المنية وحضور الأجل ، ورجح بانه أبعد عن التكرار وأنسب بما بعده ووصف القرب فيه أظهر .

---

(١) غافر/١٦ .
(٢) الواقعة/٨٣ .
(٣) القيامة/٢٦ .
(٤) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان جـ ٣٦/٢٤ وروح المعانى للألوسى جـ ٥٨/٢٤ من المجلد الثامن . والجامع لأحكام القرآن للقـرطبى جـ ٣٠٢/١٥ .

٨ ـ يوم التـــــلاق :

قال الله تعالى (لينذر يوم التلاق)(١) ويوم التـلاق : يوم القيـامة(٢) وسمى بذلك لالتقاء الخلائق فيه ، قاله أبن عباس رضى الله عنهما ٠

وقال مقاتل : لالتقاء الخالق والمخلوق فيه(٣)٠ وذلك يكون فى عرصات القيامة وفى الجنة(٤) ٠

وقال ميمون بن مهران : لالتقاء الظالم والمظلوم ، وحكى الثعلبى أن ذلك لالتقاء كل امرىء وعمله ٠

والذى اختاره مقاتل أولى الوجوه لما فيه من حمل المطلق على ما ورد فى كثير من المواضع نحو قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه)(٥) وقال الله جل ثنـاؤه (ان الذينلا يرجون لقـاءنا)(٦) وقال الله تعـالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا)(٧) ٠

وقال بعض العلماء ان القول الاول هو ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنمها أولى ، لانه أشبه لجريان الكلام فيه على الحقيقة ونفى ما يتوهم من المساواة بين الخالق والمخلوق واستقلال كل من البدلين بفائدة فى التهويل ، لما فى الاول من تصوير كلا فى الخلائق على اختلاف أنواعها ، وفى الثـانى من البروز لمالك أمرها بروز لا ينبغى لأحد فيه شبهه(٨) ٠

والذى يبدو لى أنه فى هذا اليوم يتلاقى البشر جميعا ، ويتلاقى الناس وأعمالهم التى قدموا فى الحياة الدنيـا ، ويتلاقى النـاس والملائكة والجن وجميع الخلائق التى تشهد ذلك اليوم المشهود وتلتقى الخلائق كلها بربهـا فى ساعة الحساب ، فهو يوم التلاقى بكل معانى التلاقى ٠ ثم هو اليوم الذى

---

(١) غافر/٩٥ ٠
(٢) روح المعانى للألوسى جـ ٥٦/٢٤ من المجلد الثامن ٠
(٣) السابق جـ ٥٦/٢٤ ٠
(٤) التذكرة للقرطبى جـ ٢٧٧/١ ٠
(٥) الكهف/١١٠ ٠
(٦) يونس/٧ ٠
(٧) الفرقان/٢١ ٠
(٨) روح المعانى للألوسى جـ ٥٦/٢٤ ٠

يبرزون فيه بلا ساتر ولا واق ولا تزييف ولا خداع : (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء)[1] والله عز وجل لا يخفى عليه منهم شىء فى كل وقت ـ وفى كل حال، ولكنهم فى غير هذا اليوم قد يحسبون أنهم مستورون ، وأن أعمالهم وحركاتهم خافية ، أما اليوم فيحسون أنهم مكشوفون ، ويعلمون أنهم مفضوحون ، ويقفون عارين من كل ساتر ، حتى شعار الاوهام .

ويومئذ يتضاءل المتكبرون ، وينزوى المتجبرون ، ويقف الوجود كله خاشعا والعباد كلهم خضعا ، ويتفرد مالك الملك الواحد القهار بالسلطان ، وهو سبحانه متفرد به فى كل آن ، فأما فى هذا اليوم فينكشف هذا للعيـــان بعد انكشافه للجنان .

ويعـــلم هذا كل منـكر ويتشـعره كل منـكر ، وتصمت كل نامة ، وتسكن كل حركة وينطلق صوت جليل رهيب يسأل ويجيب ، فما فى الوجود كله يومئذ من سائل غيره ولا مجيب : ولمن الملك اليوم . لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب[2،3] .

---

(١) غافر/١٦ .
(٢) غافر/١٧ ـ ١٨ .
(٣) فى ظلال القرآن جـ ٣٠٧٣/٥ .

٩ ـ يوم التبـــديل :

قال الله جل ثنـاؤه (يوم(١) تبدل الأرض(٢) غير الأرض والسـموات وبرزوا لله الواحد القهار)(٣) واختلف فى كيفية تبديل الأرض على قولين :

القول الأول :

ان المراد تبـديل الصفة لا تبـديل الذات ، قال ابن عبـاس رضى الله عنهما هى تلك الأرض الا أنها تغيرت فى صفاتها ، فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسـوى ، فلا يرى فيها عوج ولا أمت ٠ وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : (يبدل الله الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها من الأديم العاكظى(٤) فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا)(٥) ٠

وتبديل السماء وتكوير شمسها وقمرها ، وتناثر نجومها ٠

والقول الثانى :

أن المراد تبديل الذات ٠ قال ابن مسعود:تبديل بأرض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك عليها دم ولا تعمل عليها خطيئة(٦) ٠

---

(١) ذكر الزجاج فى نصب يوم وجهين : اما على الظرف لانتقام ، أو على البدل من قوله (يوم يأتيهم العذاب) ابراهيم/٤٤ ٠

(٢) اعلم أن التبديل يحتمل وجهين :

أحدهما : أن تكون الذات باقية وتتبدل صفتها بصفة أخرى ٠

والثانى : أن تغنى الذات الأولى وتحدث ذات أخرى ٠ والدليل على أن ذكر لفظ التبدل لارادة التغـير فى الصفة جائز ، أنه يقال : بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل،ومنه قولهتعالى: (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) الفرقان/٧٠ ويقـال : بدلت قميصى جبة ، أى نقلت العين من صفة الى صفة أخرى ، ويقـال : تبدل زيدا اذا تغـيرت أحواله وأما ذكر لفظ التبديل عند وقوع التبدل فى الذوات فكقول «بدلت الدراهم دنانير» ، ومنه قوله تعالى ذكره (بدلناهم جلودا غيرها) النساء/٥٦ وقوله عز شأنه (بدلناهم بجنيتهم جنتين) سبأ/١٦ ٠

(٣) ابراهيم/٤٨ ٠

(٤) العاكظى : منسوب الى عكاظ ، وهو مما حمل اليها فبيع بها ، وعكاظ اسم سوق من أسواق الجاهلية مشهورة كانت بقرب مكة ٠ والأمت : المكان المرتفع والتلال الصغار والانخفاض والارتفاع ٠

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣٨٣/٩ ٠

(٦) التفسير الكبير للرازى ج ١٥٠/١٩ من المجلد العاشر ٠

وتبديل السماء يكون باختلاف أحوالها،فمرة كالمهل ، ومرة كالدهان، قال الله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل)(١) والمهل : دردى الزيت وعكره ، أو ما أذبت من الرصاص والنحاس والفضة ، وقال مجاهد : كالمهل كقيح من دم وصديد .

وقال أبو عبيدة : المهل كل معدن أذيب ، فكل شىء أذبته من نحاس أو رصاص ، ونحو ذلك فهو مهل(٢) .

وقال الله جل ثناؤه (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان)(٣) أى أنها صارت ـ السماء ـ فى صفاء الذهن ، والدهان على هذا جمع دهن . قال سعيد بن جبير وقتادة : المعنى فكانت حمراء .

وقيل:المعنى تصير فى حمرة الورد وجريان الدهن ، تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم ، وتصير مثل الدهن لرقتها وذوابها.

وقيل : الدهان الجلد الاحمر الصرف .

وقال الفراء : تصير السماء حمراء كالأديم لشدة حر النار(٤) .

ويذكر القرآن الكريم اضطراب السماء ، (يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ، فويل يومئذ للمكذبين)(٥) قال ابن عباس رضى الله عنهما : (تدور السماء مورا بأهلها دورانا كدوران الرحى وتموج الخلائق بعضها فى بعض من الهول)(٦) . وينقل ابن كثير عنه أنه قال فى مور السماء:أنه شقها وانفطارها(٧) .

وقال الزمخشرى : (تمور السماء : تضطرب وتجىء وتذهب، وقيل

---

(١) المعارج/٨ .
(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة جـ ١/٤٠٠ .
(٣) الرحمن/٣٧ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١٧/١٧٣ و جـ ١٨/٢٨٤ .
(٥) الطور/١٠
(٦) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس تأليف الفيروز أبادى أبى طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) ـ القاهرة مطبعة الاستقامة ١٩٦٠م .
(٧) تفسير القرآن العظيم جـ ٤/٢٤٠ الحلبى .

المور تحرك فى موج[1] ٠

قال القــرطبى : والصحيح ازالة هذه الأرض حسب ما ثبت عن النبى ﷺ ، روى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ (فى الظلمة دون الحسر)[2] وعن عائشة رضى الله عنهــا قالت : سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (يوم تبــدل الأرض غير الأرض والسموات) فأين يكون الناس يومئذ ؟ قال : (على الصراط)[3] ٠

ومن النــاس من رجح القــول الأول ، لأنه قوله تعــالى (يوم تبــدل الأرض) المراد هذه الأرض والتبدل صفة مضافة اليها ، وعند حصول الصفة لابد أن يكون الموصوف موجودا ،فلما كان الموصوف بالتبدل هو هذه الأرض وجب كون هذه الأرض باقية عند حصول ذلك التبدل ، ولا يمكن أن تكون هذه الأرض باقية مع صفاتها عند حصول ذلك التبدل ، والا لامتنع حصول التبدل ، فوجب أن يكون الباقى هو الذات فثبت أن هذه الآية تقتضى كون الذات باقية ، والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون : ان عند قيام القيامة لا يعدم الله الذوات والأجسام وانما يعدم صفاتها وأهوالها ٠

وقال الرازى:انه لا يبعد أن يقال:المراد من تبديل الأرض والسموات هو أنه تعالى يجعل الأرض جهنم ،و يجعل السموات الجنة ، والدليل عليه قوله تعــالى (كلا ان كتاب الأبرار لفى عليين)[4] وقوله عز وجل (كلا ان كتاب الفجار لفى سجين[5] والله أعلم[6] ٠

---

(١) الكشــاف جـ ٢٣/٤ ٠
(٢) الحسر : الصراط ٠
(٣) مســلم فى صفات المنافقين وأحــكامهم رقم ٢٧٩١ والترمذى فى التفسير ، باب ومن سورة ابراهيم رقم ٣١٢٠ ٠
(٤) المطففين/١٨ ٠
(٥) المطففين/٧ ٠
(٦) التفسير الكبير للرازى جـ ١٥٠/١٩ من المجلد العاشر ٠

١٠ - يوم الجـــــزاء :

قال الله تعالى ذكره (فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون)(١) وقال الله جل ثناؤه : (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت)(٢) وقال الله تعالى : (اليوم تجزون ما كنتم تعملون)(٣) وقال عز شانه (انما تجزون ما كنتم تعملون)(٤) وقال الله تعالى (لا تعتذروا اليوم انماتُ جزون ما كنتم تعملون)(٥) .

فقوله عز وجل (لا تظلم نفس نفس شيئا) يفيد العموم ، وهو كذلك ، فانها لا تظلم أبدا (ولا تجزون) مختص بالكافر ، فان الله يجزى المؤمن ، وأن لم يفعل فان لله فضلا مختصا بالمؤمن ، وعدلا عاما ، وفيه بشارة .

لا يقال : جزى يتعدى بنفسه وبالباء ، يقال : جزيته وجزيته بخير ، لأن ذلك ليس من هذا لأنك اذا قلت جزيته بخير لا يكون الخير مفعولك ، بل تكون الباء للمقابلة والسببية ، كانك تقول:جزيته جزاء بسبب ما فعل.

والجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أن ذلك اشارة على وجه المبالغة الى عدم الزيادة وذلك لأن الشىء لا يزيد على عينه فقوله تعالى (يجزون بماكانوا يعملون) فى المساواة كانه عين ما عملوا يقال : فلان يجاوبنى حرفا بحرف أى لا يترك شيئا ، وهذا يوجب اليأس العظيم .

الثانى : هو أن ما غير راجع الى الخصوص ، وانما هى للجنس تقديره ولا تجزون الا جنس العمل أى ان كان حسنة فحسنة ، و ان كانت سيئة فسيئة فتجزون ما تعملون من السيئة والحسنة(٦) .

والذى نخلص اليه أن الجزاء القضاء والمكافاة ، يقال جزاه بعمله أو على عمله بجزية جزاءه قابلة بما يكافئه ، واذا تعدى الى مفعولين كان فيه معنى أعطى . ويستعمل الجزاء فى الخير والشر .

---

(١) يس/٥٤ .
(٢) غافر/ ١٧ .
(٣) الجاثية/٢٨ .
(٤) الطور/١٦ .
(٥) التحريم/٧ .
(٦) التفسير الكبير جـ ٩١/٢٦ من المجلد الثالث عشر .

١١ ـ يوم الوفاء :

قال الله تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)(١) أى حسابهم وجزاؤهم ، والجنة جزاء الحسنات ، والنار جزاء السيئات .

وعلى هذا فان المراد من الدين الجزاء ، كقولهم كما تدين تدان .

وقيل الدين الحساب ، كقوله تعالى (ذلك الدين القيم)(٢) أى الحساب الصحيح ، ومعنى قوله (الحق) أى أن الذين نوفيهم من الجزاء هو العدل المستحق ، لأنه الحق ، وما زاد عليه هو الباطل(٣) .

١٢ ـ يوم الندامة والحسرة :

سمى بذلك لأن المحسن اذا رأى جزاء احسانه ، والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لا يكون مستكثرا ، وندم المسىء أن لا يكون استعتب ، فاذا صار الكافر الى عذاب لا نفاذ له تحسر ، فلذلك سمى يوم الحسرة ، قال الله تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر)(٤) وذلك عند ذبح الموت .

١٣ ـ يوم التقلب :

وهو التحول ، قال الله تعالى : (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)(٥) أى قلوب الكفار وأبصارهم فتقلب قلوب الكفار وأبصارهم انزاعها من أماكنها الى الحناجر ، فلا هى ترجع الى أماكنها ، ولا هى تخرج ، فأما تقلب الأبصار فالزرقة بعد الكحل والعمى بعد البصر . وقيل : تتقلب القلوب بين الطمع فى النجاة والخوف من الهلاك والأبصار تنظر من أى ناحية يعطون كتبهم والى أى ناحية يؤخذ بهم .

وقيل : ان قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين الا أن ذلك لا ينفعهم فى الآخرة(٦) .

---

(١) النور/٢٥ .
(٢) الروم/٣٠ .
(٣) التفسير الكبير للرازى جـ ١٩٥/٢٣ .
(٤) مريم/٣٩ .
(٥) النور/٣٧ .
(٦) التذكرة للقرطبى جـ ٢٨٠/١ .

وعلى هذا فان المراد بتقلب القلوب والأبصار يتمثل فيما يأتى :

(أ) أن القلوب تضطرب من الهول والفـزع ، وتشخص الأبصـار ، لقوله عز وجل : (واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر)(١) .

(ب) أنها تتغير أحوالها فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعة عليهـا لا تفقه وتبصر الابصار بعد أن كانت لا تبصر ، فكأنهم انقلبوا من الشك الى الظن ، ومن الظن الى اليقين ، ومن اليقين الى المعاينـة ، لقوله تعـالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)(٢) وقوله عز وجل (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك)(٣) .

(جـ) أن القلوب تتقلب فى ذلك اليـوم طمعا فى النجـاية وحذرا من الهلاك ، والأبصار تتقلب من أى ناحية يؤمر بهم ، أمن ناحيـة اليمين ، أم من ناحية الشمال ؟ ومن أى ناحية يعطون كتابهم أمن قبـل الايمان أم من قبل الشمائل ؟

(د) أن القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والأبصار تصير زرقا ، قال الضحاك : يحشر الكافر وبصره حديد وتزرق عيناه ، ثم يعمى ويتقلب القلب من الخوف حيث لا يجد مخلصا حتى يقع فى الحنجرة فهو قوله (اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين)(٤) .

(هـ) وقال بعض العلماء المراد بتقلب القلوب والأبصار تغير هيئاتهما بسبب ما ينالها من العذاب ، فتكون مرة بهيئة ما انضج بالنار ومرة بهيئة ما احترق ، وقال : ويجوز أن يريد به تقلبها على جمر جهنم ، وهو معنى قوله تعالى:(ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة(٥،٦) .

١٤ ـ يوم الشخوص والاقناع :

قال الله تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم

---

(١) الأحزاب/١٠ .
(٢) الزمر/٤٧ .
(٣) ق/٢٢ .
(٤) غافر/١٨ .
(٥) الأنعام/١١٠ .
(٦) التفسير الكبير للرازى جـ ٢٤/٥ ـ ٦ من المجلد الثانى عشر .

ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء)[1] . فالرسول ﷺ لا يحسب الله غافلا عما يعمل الظالمون ، ولكن ظاهر الأمر وهكذا لبعض من يرون الظالمين يتمتعون ، ويسمع بوعيد الله ثم لا يراه واقعا بهم فى هذه الحياة الدنيا ، فهذه الصيغة تكشف عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذة الاخيرة ، التى لا امهال بعدها ، ولا فكاك منها أخذهم فى اليوم العصيب الذى تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع ، فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة ، مأخوذة بالهول لا تطرق ولا تتحرك ، ثم يرسم مشهد للقوم فى زحمة الهول .. مشهدهم مسرعين لا يلوون على شىء ، ولا يلتفتون الى شىء .رافعين رءوسهم لا عن ارادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكا . يمتد بصرهم الى المشاهد من الرعب فلا يطرف ولا يرتد اليهم ، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لا تضم شيئا يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه فهى هواء خواء[2] ...

وهذا اليوم موصوف بصفات منها :

الصفة الأولى :

أنه (تشخص فيه الأبصار) أى ترفع أبصار أهل الموقف ، فيدخل فى زمرتهم الظالمون المعهودون دخولا أوليا ، أى تبقى مفتوحة لا تطرق ــ كما قال الراغب ــ من هول ما يرونه .

---

(١) ابراهيم/٤٢ ــ ٤٣ . فان قيل : كيف يليق بالرسول ﷺ أن يحسب الله موصوفا بالغفلة ؟ والجواب من وجوه :

الأول : المراد به التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا ، كقوله (ولا تكونن من المشركين) وقوله (ولا تدع مع الله الها آخر) وكقوله (يا أيها الذين آمنوا) .

والثانى : أن المقصود منه بيان انه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لأجل غفلته عن ذلك الظلم ، ولما كان امتناع هذه الغفلة معلوما لكل أحد لا جرم كان عدم الانتقام محالا .

والثالث : أن المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ، ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطير .

والرابع : أن يكون هذا الكلام وان كان خطابا مع النبى ﷺ فى الظاهر ، الا أنه يكون فى الحقيقة خطابا مع الأمة ، وعن سفيان ابن عيينه، أنه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم .

(٢) فى ظلال القرآن جـ ٢١١١/٤ .

وفى البحر : شخص البصر أحد النظر ولم يستقر مكانه ، والظاهر أن عدم الاستقرار لجعل الصيغة من شخص الرجل من بلده اذا خرج منها ، فانه يلزمه عدم القرار فيها ، أو من شخص بفلان اذا ورد عليه ما يقلقه — كما فى الأساس — .

وحمل بعضهم الألف واللام على العهد ، أى أبصارهم ، لأنه المناسب لما بعده ، والظاهر مما روى عن قتادة ، فقد أخرج عبد بن حميد وغيره أنه قال فى الآية : شخصت فيه والله أبصارهم فلا ترتد اليهم .

واختار بعضهم حمل (أل) على العموم قال : لأنه أبلغ فى التهويل ، ولا يلزم عليه التكريم مع بعض الصفات الآتية[1] :

ويجمل القول فى تلك الصفة أن شخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة ، وسقوط القوة .

والصفة الثانيـة :

قوله (مهطعين) وفى تفسير الاهطاع أقوال :

(أ) قال أبو عبيدة هو الاسراع ، يقال : أهطع البعير فى سيره واستهطع اذا أسرع ، وعلى الوجه فالمعنى : أن الغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا ، فبين الله تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد ، فانهم مع شخوص أبصارهم يكونون مهطعين ، أى مسرعين نحو ذلك البلاء .

(ب) أن المهطع هو الذى ينظر فى ذل وخشوع .

(جـ) أن المهطع هو الساكت .

(د) أنه يقال للرجل اذا قر وذل : أهطع[2] .

(هـ) وقال الأخفش : مقبلين للاصغاء ، وأنشد :

بدجلة دارهم ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين الى السماع

---

(١) روح المعانى للألوسى جـ ١٣/٢٤٥ من المجلد الخامس .
(٢) التفسير الكبير للرازى جـ ١٩/١٤١ من المجلد العاشر .

(و) وروى ابن الانبارى : ان الاهطاع : التجميح ، وهو قبض الرجل ما بين عينيه .

(ز) وقيل : ان الاهطاع مد العنق والهطع طول العنق .

(ح) وذكر بعضهم أن أهطع وهطع بمعنى وان كل المعانى تدور على الاقبال(1) .

الصفة الثالثـة :

قوله تعـالى (مقنعى رؤوسهم) والاقنـاع رفع الرأس والنظر فى ذل وخشوع فقوله تعالى : (مقنعى رؤوسهم) أى رافعى رؤوسهم ، والمعنى أن المعتاد فيمن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه عنه لكى لا يراه ، فبين الله تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد ، وأنهم يرفعون رؤوسهم(2) .

وقيل : المقنع الذى يرفع راسه ويقبل ببصره على ما بين يديه ، ومنه الاقناع فى الصلاة(3) ، واقنع صوته اذا رفعه . وقال الحسن : وجوه الناس يومئذ الى السماء لا ينظر أحد الى أحد .

وقيل : ناكسى رؤوسهم ، يقال أقنع اذا رفع رأسه ، وأقنع اذا طأطأ رأسه ذلة وخضوعا ، والآية محتملة الوجهين،والقول الأول أعرف فى اللغة قال الراجز :

أنغض(4) نحوى رأسه واقنعـا   كأنمـا أبصر شيئا أطمعـا

وقال الشماخ يصف ابلا :

يبـاكرن العضـاة(5) بمقنعات   نواجذهن كالحدا الوقيـع

يعنى : برؤوس مرفوعات اليهـا لتتناولهـم . ومنه قيل : مقـرفة

---

(1) روح المعانى للألوسى ج ٢٤٥/١٣ من المجلد الخامس .

(2) التفسير الكبير للرازى ج ١٤١/١٩ .

(3) الاقناع فى الصلاة بأن يرفع المصلى رأسـه حتى يكون أعلى من ظهره .

(4) انغض رأسه : حركه .

(5) العضـاة : كل شـجر يعظم وله شـوك . والحدا ــ بفتح الحاء وقيل بكسرهاجمع حداة وهى الفاس ذات الرأسين ، والوقيع : المحدد ــ شبه الشاعر أسنان الابل بالفؤوس فى الحدة .

لارتفاعها[1] . ومنه قنع الرجل اذا رضى ، أى رفع رأسه عن السؤال ، وقنع اذا سأل أى أتى ما ينقنع منه ، وضم مقنع أى معشوقة أسنانة الى داخل . ورجل مقنع بالتشديد ، أى عليه بيضة ، قاله الجوهرى[2] .

الصفة الرابعة :

قوله عز وجل (لا يرتد اليهم طرفهم) بمعنى لا يرجع اليهم تحريك أجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة ، فالطرف باق على أصل معناه، وهو تحريك الجفن والكلام كناية عن بقاء العين مفتوحة على حالها .

وجوز أن يراد بالطرف نفس الجفن مجازا ، لأنه يكون فيه ذلك ، أى لا ترجع اليهم أجفانهم التى يكون فيها الطرف .

وقال الجوهرى : الطرف العين ولا يجمع لأنه فى الأصل مصدر فيكون واحدا ، ويكون جمعا وذكر الآية وفسره بذلك أبو حيان[3] أيضا وأنشد قول عنترة :

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها

وليس ما ذكر متعينا فيه ، وهو معنى مجازى له ، وكذا النظر ، وجوز ارادته على معنى لا يرجع اليهم نظرهم لينظروا الى أنفسهم فضلا عن شىء آخر بل يبقون مبهوتين . ولا ينبغى أن يتخيل تعلق (اليهم) بما بعده على معنى لا يرجع نظرهم الى أنفسهم ، أى لا يكون منهم نظر كذلك، لأن صلة المصدر لا تتقدم[4] .

وأنت خبير بأن لزوم التكرار بين (مهطعين) و (لا يرتد اليهم طرفهم) على بعض التفاسير متحقق لا يدفعه اعتبار الحالية من مفعول (يؤخرهم) على أن بذلك لا يندفع عرق التكرارات بين (تشخص فيه الأبصار) وكل من الأمرين المذكورين .

---

(١) أى على الرأس من المرأة .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٩/٣٧٦ .
(٣) البحر المحيط جـ ٥/٤٣٥ .
(٤) روح المعانى للألوسى جـ ١٣/٢٤٦ .

وقيل : ان جملة (لا يرتد) الخ حال أو بدل من (مقنعى) الخ ، أو استئناف ، والمعنى : لا يزول ما اعتراهم من شخوص الأبصار وتأخيره عما هو من تتمة الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى ، وكأنه أراد بذلك رفع التكرار ٠

واعتبر بعضهم عدم الاستقرار فى الشخوص وعدم الطرف هنا ،فاعترض عليه بلزوم المنافاة وأجيب بأن الثانى بيان حال آخر وأن أولئك الظالمين تارة لا تقر أعينهم ، وتارة يبهتون ، فلا تطرف أبصارهم ، وقد جعل الحالتان المتنافيتان لعدم الفاصل كأنهما فى حال واحد ، كقول امرىء القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

وهذا يحتاج اليه على تقدير اعتبار ما ذكر سواء اعتبر كون الشخوص وما بعده من أحوال الظالمين بخصوصهم أم لا ٠

والأولى أن لا يعتبر فى الآية ما يحوج لهذا الجواب ، وأن يختار من التفاسير ما لا يلزمه صريح التكرار ، وأن يجعل شخوص الأبصار حال عموم الخلائق وما بعده حال الظالمين المؤخرين[1] ٠

الصفة الخامسة :

قوله عز وجل (وأفئدتهم هواء) أى لا تغنى شيئا من شدة الخوف ٠

قال ابن عباس رضى الله عنهما وخالية من كل خير ٠

وقال السدى : خرجت قلوبهم من صدورهم فنشبت فى حلوقهم ، وقال مجاهد : خاوية خربة متخرقة ليس فيها خير ولا عقل ، كقولك فى البيت الذى ليس فيه شىء : انما هو هواء ، والهواء فى اللغة المجوف الخالى ، ومنه قول حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف[2] نخب هواء

---

(١) روح المعانى للألوسى جـ ١٣/٢٤٧ ٠

(٢) المجوف والمجوف : الجبان الذى لا قلب له ٠ والنخب : من النخب بمعنى النزع ، يقال : وجنغب أى جبلن ، كأنه منتزع الفؤاد

وقال زهير يصف ناقة صغيرة الرأس :

كأن الرحل منهـــا فوق صعل[1] من الظلمان جؤجؤه هواء

فارغ خال وفى التنزيل : (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا)[2] أى من كل شىء الا من هم سوى موسى عليه السلام .

وقيل فى الكلام اضمار ، أى ذات هواء وخلاء[3] .

وعلى هذا فان قلوب الكفار خالية يوم القيـامة عن جميـع الخواطر والأفكار لعظم ما ينالهم من الحيرة ، ومن كل رجاء وأهل ، لما تحققوه من العقاب ، ومن كل سرور لكثرة ما فيه من الحزن .

١٥ ــ يوم البعث :

وحقيقته احياء الله عز وجل الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية . قال الله جل ثنـاؤه (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من فى القبور)[4] فالناس ان كانوا فى ريب من البعث وفى شك من زلزلة الساعة فليتدبروا كيف تنشأ الحياة ، ولينظروا فى أنفسهم وفى الأرض ومن حولهم حيث تنطق لهم الدلائل بأن الأمر مألوف ، ولكنهم هم الذين يمرون على الدلائل فى أنفسهم وفى الأرض غافلين . وانشاء الانسان من التراب وتطور

---

(١) فوق صعل : شبه الناقة فى سرعتها بالظليم ، وهو ذكر النعام ، فكان رحلهـا فوقه ، والصعل الصغـير الرأس ، وبذلك يوصف الظليـم . والجؤجؤ : الصدر .

(٢) القصص/١٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٣٧٨/٩ .

(٤) الحج/٥ ــ ٧ .

الجنين فى مراحل تكونه ، وتطور الطفل فى مراحل حياته ، وانبعاث الحياة من بعد الهمود ، ذلك متعلق بأن الله هو الحق فهو من السنن المطردة التى تنشأ من أن خالقها هو الحق الذى لا تختل سننه ولا تتخلق ٠ وأن اتجاه الحياة هذا الاتجاه فى هذه الأطوار ليدل على الارادة التى تدفعها وتنسق خطاها وترتب مراحلها ، فهناك ارتباط وثيق بين أن الله هو الحق ، وبين هذا الاطراد والثبات ، والاتجاه الذى لا يحيد (وأنه يحيى الموتى) فاحياء الموتى هو اعادة للحياة ، والذى أنشأ الحياة الأولى هو الذى ينشئها للمرة الآخرة (وأن الله يبعث من فى القبور) ليلاقوا ما يستحقونه من جزاء ، فهذا البعث تقتضيه حكمة الخلق والتدبير[1] ٠

وعلى هذا فان الله عز وجل يعيدهم بعدما صاروا فى قبورهم رمما ويوجدهم بعد العدم كما قال جل ثناؤه (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل شىء عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون)[2] ٠

عن أبى رزين العقيلى ـ واسمه لقيط بن عامر ـ أنه قال : يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك فى خلقه ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أليس كلكم ينظر الى القمر مخليا به ؟» قلنا : بلى قال : (فالله أعلم) قال : قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه ؟قال : (أما مررت بوادى أهلك ممحلا ؟) قال : بلى ٠ قال : (ثم مررت به تهتز خضرا) قال : بلى ٠ قال : (فكذلك يحيى الله الموتى وذلك آيته فى خلقه)[3] وفى لفظ ـ عن أبى رزين العقيلى أيضا ـ قال : (أمررت بأرض من أرض قومك مجدبة ثم مررت بها مخصبة ؟) قال : نعم قال : كذلك النشور)[4] ٠

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : من علم أن الله هو الحق المبين وأن

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٢٤١١/٤ ٠

(٢) يس/٧٨ ـ ٨٠ ٠

(٣ ، ٤) أبو داود فى السنن ، باب فى الرؤية حديث رقم ٤٧٣١ وابن ماجه فى المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية رقم ١٨٠ ٠

الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور دخل الجنة[1] .

ويقول الله جل ثناؤه خبرا عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ، وأنهم لا يخبرون بجميع أعمالهم جليلها وخفيرها صغيرها وكبيرها : (زعم الذين كفروا أن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)[2] .

١٦ – يوم التغـــابن :

قال الله تعالى (ذلك يوم التغابن)[3] أى يوم القيامة ، قال الشاعر :

وما أرتجى بالعيش فى دار فرقة ... ألا انما الراحات يوم التغابن

وسمى يوم القيامة يوم التغابن ، لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار ، أى أن أهل الجنة أخذوا الجنة ، وأخذ أهل النار النار على طريق المبادلة ، فوقع الغبن لأجل مبادلتهم الخـير بالشر ، والجيـد بالردىء ،والنعيـــم بالعذاب .

يقال : غبنت فلانا اذا بايعته أو شاريته فكان النقص عليه والغلبة لك، وكذا أهل الجنــة وأهل النار ، ويقال : غبنت الثوب وخبنته اذا طال عن مقدارك فخطت منه شيئا ، فهو نقصــان أيضا . والمغــابن : ما انثنى من الخلق نحو الابطين والفخذين .

قال **المفسرون :** فالمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة.ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمـــان ، وغبن كل مؤمن بتقصـــيره فى الاحســان وتضييعه الأيام .

قال الزجاج : ويغبن من ارتفعت منزلته فى الجنة من كان دون منزلته.

وأورد على ذلك : فأى معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها ؟

وأجيب عن ذلك بأنه تمثيل الغبن فى الشراء والبيــع ، كمـا قال الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٣/٢٠٨ .
(٢) التغابن/٧ .
(٣) التغابن/٩ .

تعالى (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى)(١) ولما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا فى تجارتهم بل خسروا ، ذكر أيضا أنهم غبنوا ، وذلك أن أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا ، واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة ، وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا(٢) . وفيه تهكم بالأشقياء ، لأنهم لا يغبنون حقيقة السعداء بنزولهم فى منازل من النار ، أو جعل ذلك تغابنا مبالغة على طريق المشاكلة ، فالتفاعل على هذا القول ظاهره ، وهو حسن الا أن التغابن فيه تغابن السعداء والأشقياء على التقابل ، والأحسن الاطلاق ، وتغابن السعداء على الزيادة ثبت فى الصحاح(٣) .

وعلى هذا فان التغابن تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ ، والمراد بالمغبون من غبن فى أهله ومنازله فى الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان . ففى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ، وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» .

و (يوم التغابن) يوم القيامة ، لظهور الغبن فى المبايعة المشار اليها بقوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم)(٤) وقوله عز وجل : (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا)(٥) فعلم أنهم قد غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعا .

وقال الحسن وقتادة : بلغنا أن التغابن فى ثلاثة أصناف : رجل علم علما بعلمه وضيعه هو ولم يعمل به فشقى به ، وعمل به من تعلمه منه فنجا به . ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه ، وفرط فى طاعة ربه بسببه ، ولم يعمل فيه خيرا ، وتركه لوارث لا حساب عليه فيه

---

(١) البقرة/١٦ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٣٧١/٨ من المجلد التاسع .
(٣) روح المعانى للألوسى ج١٢٣/٢٨ من المجلد العاشر . والكشاف ج ١١٥/٤ .
(٤) التوبة/١١١ .
(٥) آل عمران/٧٧ .

فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه . ورجل كان له عبد فعمل بطاعة ربه فسعد ، وعمل السيد بمعصية ربه فشقى .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال (ان الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا فما أنتما بقائلين . فيقول الرجل: يا رب أوجبت نفقتها على فتعسفتها من حلال وحرام ، وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لى ما أوفى به ، فتقول المرأة يا رب وما عسى أن أقول أكتسبه حراما وأكلته حلالا وعصاك فى مرضاتى ولم أرض له بذلك فبعدا له وسحقا ، فيقول الله تعالى قد صدقت ، فيؤمر به الى النار ، ويؤمر بها الى الجنة ، فتطلع عليه من طبقات الجنة ، وتقول له قد غبناك غبناك سعدنا بما شقيت أنت به) فذلك يوم التغابن(١) .

قال مقاتل بن حيان : لاغبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الى الجنة ، ويذهب بأولئك الى النار .

قال ابن كثير وقد فسر ذلك بقوله تعالى(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير)(٢،٣) .

١٧ ـ الواقعـــة :

قال تعالى : (اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة)(٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١٣٧/١٨ من المجلد التاسع .
(٢) التغابن : ٩ ـ ١٠ .
(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ٣٧٥/٤ طبعة الحلبى .
(٤) الواقعة/١ ـ ٦ .
قوله تعالى (اذا) ظرف متضمن معنى الشرط على ما هو الظاهر ، والعامل فيها عند أبى حيان الفعل بعدها ، فهى عنده فى موضع نصب بـ (وقعت) كسائر أسماء الشرط وليست مضافة الى الجملة . (البحر المحيط جـ ٢٠٢/٨) والجمهور على اضافتها فقيل:هى هنا قد سلبت الظرفية ووقعت مفعولا به لا ذكر محذوفا . وقيل : لم تسلب ذلك ، وهى منصوبة بليس ،وضيع الزمخشرى يشعر باختياره (الكشاف جـ ٥١/٤) ، وقيل بمحذوف وهو الجواب أى:(اذا وقعت الواقعة) كان كيث وكيث ـ فالنصب =

أى اذا قامت القيامة ، والتعبير عنها بالواقعة للايذان أن يتحقق وقوعها لا محالة ، فكأنها واقعة فى نفسها ، ولفظة (الواقعة) بما فيها من مد ثم سكون ، أشبه بسقوط الجسم الذى يرفع ثم يترك فيقع ، فينتظر له الحس فرقعة ورجة : وهكذا يلى السياق ما يتوقعه الحس[1]،فهى (خافضة رافعة)

= باضمار ذكر انما كثر فى اذ ٠ وبليس انما يصح اذا جعلت لمجرد الظرفية والا وجب الفاء فى ليس ٠ وأبو حيان تعقب النصب بليس بأنه لا يذهب اليه نحوى ، لأن ليس فى النفى لـ (ما) وهى لا تعمل ، فكذا ليس فانها مسلوبة الدلالة على الحدث والزمان،والقول بأنها فعل على سبيل المجاز ـ والعامل فى الظرف انما هو ما يقع فيه من الحدث ، فحيث لا حدث فيها لا عمل لها فيه ، ثم ذكر وجوب حذف الفاء فى ليس اذا لم تجرد عن الشرطية واعترض بأن(ما) لا تعمل بأنهم صرحوا بجواز تعلق الظرف بها لتأويلها بانتفى ، وأنه يكفى له رائحة الفعل ، ويقاس عليها فى ذلك ليس ، وكذا دعوى وجوب الفاء ليس اذا لم تجرد (اذا) عن الشرطية بأن لزوم الفاء مع الأفعال الجامدة انما هو فى جواب أن الشرطية لعملها كما حد جوابه ٠ وأما (اذا) فدخول الفاء فى جوابها على خلاف الأصل٠روح المعانى للألوسى جـ ١٢٩/٢٧ من المجلد التاسع ٠

والكاذبة مصدر بمعنى الكذب ، والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر ، كقوله تعالى (لا تسمع فيها لاغية) الغاشية/١١ ٠ أى لغو ، والمعنى لا يسمع لها كذب ، ومنه قول العامة : عائذا بالله أى معاذ الله وقم قائما أى قياما ٠ وقيل : الكاذبة صفة والموصوف محذوف ، أى ليس لوقعتها حال كاذبة ، أو نفس كاذبة ، أى كل من يخبر عن وقعتها صادقة ٠ وقيل : لا يردها شىء ٠ وقيل : ليس لوقعتها أحد يكذب بها ٠

وقوله تعالى (خافضة رافعة) خبر لمبتدأ محذوف ، أى هى خافضة لأقوام ، رافعة لآخرين ، وقرأ الحسن وعيسى الثقفى (خافضة رافعة) بالنصب على الحال ٠

قال عكرمة ومقاتل والشدى : خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعت من نأى ، يعنى سمعت القريب والبعيد ٠ وقال الشدى : خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين ٠

وقال قتادة : خفضت أقواما فى عذاب الله ورفعت أقواما الى طاعة الله٠ وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خفضت أعداء الله فى النار ، ورفعت أولياء الله فى الجنة ، والخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة ، والعز والمهانة ، ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على عادة العرب فى اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل بقولون : ليل نائم ونهار صائم ، والخافض والرافع على الحقيقة انما هو الله وحده توقيع أولياءه فى أعلى الدرجات ، وخفض أعداءه فى أسفل الدركات ٠

الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١٩٥/١٧ ـ ١٩٦ ٠

(١) مشاهد القيامة فى القرآن ص ١٠٧ ٠

أى هى خافضة لأقوام رافعة لآخرين ، وهو تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها، فان الوقائع العظام شأنها كذلك ، أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ، ومن زلزلة الأشياء ، وازالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا ، وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب ، وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل(١) .

١٨ ـ الحـــــاقة :

قال الله تعالى (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة)(٢) وسميت بذلك:

(أ) لأن الأمور تحق فيهـا ، قاله الطبرى ، كأنه جعلهـا من باب ليل نائم .

(ب) أو لأنها تكون من غير شك .

(جـ) أو لأنها أحقت لأقوام الجنة وأحقت لأقوام النار .

(د) أو لأن فيها يصير كل انسان حقيقيا بجزاء عمله .

(هـ) وقال الأزهرى : يقال : حاققته فحققته أحقه ، أى غالبته فغلبته، فالقيامة حاقة . لأنها تحق كل محاق فى دين الله بالباطل ، أى كل مخاصم .

وفى الصحاح : وحاقه أى خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق ، فاذا غلبه قيل حقه ،ويقال للرجل اذا خاصم فى صغار الأشياء : انه لنزق الحقاق، ويقـال : ما له فيه حق ولا حقـاق ، أى خصومة ، والتحـاق التخاصم ، والاحتقاق : الاختصام . والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى(٣) .

وهكذا فان الحاقة هى التى تحق ، والتى تقـع لأحقيتها بالوقوع ، احقاقا للعدل الالهى وتقريرا للجزاء على الخـير والشر . وهذا اللفظ من الناحية التصويرية له جرس خاص هو أشبه شىء برفع الثقل ، ثم استقراره . استقرارا مكينا،رفعه فى مده الحاء بالألف.واستقراره فى تشديد القاف بعدها والانتهـاء بالتاء المربوطة التى يوقف عليهـا بالهاء الساكنة ، والجرس فى ألفاظ القرآن وعباراته يشترك فى تصوير المعنى ووقوعه فى الحس(٤) .

---

(١) تفسير العلامة أبى مسعود جـ ٤/٦٦٩ .
(٢) الحاقة/١ ـ ٣ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١٨/٣٠٧ .
(٤) مشاهد القيامة فى القرآن الكريم ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

١٩ ـ الطـــامة :

من الأوصاف التى اشتقها القرآن ليوم القيامة الطامة وهذه اللفظة ذات دوى وطنين تخيل اليك أنها تطم وتعم كالطوفان يغمر كل شىء ويطويه ٠ قال الله تعالى:(فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى)[١]٠

قال ابن عباس رضى الله عنهما : انها القيامة ، سميت بذلك لأنها تطم كل شىء فتعم ما سواها لعظم هولها ، أى تلقيه وفى أمثالهم :

جرى الوادى فطم على القرى[٢] ٠

وقال المبرد : الطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع ، وانما أخذت فيما أحسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده فى الجرى ، وطم الماء اذا ملأ النهر كله ٠

وقال غيره انهـا مأخوذة من طم السيل الركية[٣] أى دفنها ، والطم الدفن والعلو ٠

وقال القاسم بن الوليد الهمدانى : الطـامة الكبرى حين يسـاق أهل الجنة الى الجنة ، وأهل النار الى النار ، وهو معنى قول مجاهد ٠

وقال سفيان هى الساعة التى يسلم فيها أهل النار الى الزبانية ، أى الداهية التى طمت وعظمت ، قال :

ان بعض الحب يعمى ويصم وكذاك البغض أدهى وأطم[٤]٠

والذى نخلص اليه أن (الطامة) أعظم الدواهى ، لأنه من طم بمعنى علا كمـا ورد فى المثل ـ جرى الوادى فطم على القـرى وجاء السيل فطم الركى ، وعلوها على الدواهى غلبتها عليها فيرجع لما ذكر فوصفها بالكبرى للتأكيد ، وأنت تعلم أن الطامة الكبرى صارت كالعلم للقيامة ، وروى كونها اسما من اسمائها عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعنه أيضا وعن الحسن

---

(١) النازعات/٢٤ ـ ٢٥ ٠

(٢) القرى : مجرى الماء فى الروضة والجمع أقرية واقراء وقريان ، ويضرب المثل عند تجاوز الشىء حده ٠

(٣) الركية : البئر ، أى جرى سيل الوادى ٠

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٠٦/١٩ وتفسير العلامة أبى السعود ج ٨٢٨/٤ ٠

أنها النفخة الثانية(١) .

٢٠ ـ الصـــاخة :

قال الله تعالى (فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئـذ شأن يغنيه)(٢) قال ابن عبـاس رضى الله عنهما (الصـاخة) اسم من أسماء يوم القيـامة عظمـه الله وحذر عبـاده(٣) .

وقال ابن جرير لعله اسم للنفخة فى الصور(٤) .

وقال البغوى : الصاخة يعنى صيحة يوم القيامة سميت بذلك ، لأنهـا تصخ الأسماع أى تبالغ فى أسماعها حتى تكاد تصمها(٥) .

قال أبو حيان : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة يصم نباها الآذان ، تقول العرب : صختهم الصاخة ونابتهم النائبة ، أى الداهية(٦) .

وعلى هذا فان الصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخـلائق أى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا صاخ له واستمع اليه . ومنه الحديث (ما من دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعـة شـفقا من السـاعة الا الجـن والانس)(٧) .

وقال الشـاعر :

يصيخ للنبـأة أسـماعه اصـاخة المنشـد للمنشـد

وأصل الكلمة فى اللغة : الصل الشديد ، وقيل : هى مأخوذة من صخه بالحجر ، اذا صكه ، قال الراجز :

---

(١) روح المعانى للألوسى ج/٤٤ وينظر التصوير الفنى فى القـرآن الكريم ص ٧٩ ـ ٨٠ .
(٢) عبس/٣٣ ـ ٣٧ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٤٧٣/٤ .
(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن ج ٣٩/٣٠ .
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤٧٣/٤ .
(٦) البحر المحيط ج ٤٢٩/٨ وتفسير أبى السعود ج ٨٣٦/٤ .
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٢٤/١٩ .

يا جارتى هل لك أن تجالدى   جـــلادة كالصـك بالجـلامد

وقال ابن العربى : الصاخة التى تورث الصم ، أنها لمسمعة ، وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض حديثى الاسنان حديثى الازمان :

اصم بك الناعى وان كان أسمعا .

وقال آخر :

أصمنى سرهم أيام فرقتهـم   فهل سمعتم بسر يورث الصما

لعمر الله ان صيحة القيامة لمسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة(1) .

وعلى هذا فان (الصـاخة) لفظة تكاد تخرق صماخ الآذان فى ثقلها ، وعنف جرسها وشقه للهواء شقا ، حتى يصل الى الآذان صاخا ملحا(2) .

وهو عهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذى يليه : مشـهد المرء يفـر وينسلخ من ألصق الناس به (يوم يفـر المرء من أخيه وأمه وأبيـه وصاحبته وبنيه) أولئك الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم، ولكن هذه الصاخة تمزق هذه الروابط تمزيقا ، وتقطع تلك الوشائج تقطيعا .

والهول فى هذا المشهد هول نفسى بحت ، يفزع النفس ويفصـلها عن محيطها ، ويستبد بها استبدادا ، فلكل نفسه وشانه، ولديه الكفاية من الهم الخاص به، الذى لا يدع له فضلة من وعى أو جهد (لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) .

والظـلال الكامنة وراء هذه العبـارة فى طياتها ظـلال عميقة ، فما يوجد أخصر ولا أشمل من هذا التعبير لتصـوير الهم الذى يشـغل الحس والضمير (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)(3) .

٢١ ـ الغاشـــية :

من أسماء يوم القيامة : الغاشية ، قال الله جل ثناؤه (هل أتاك حديث

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٢٢٤/١٩ ، ولم نجد كلام ابن العربى فى كتابه أحكام القرآن .

(2) التصوير الفنى فى القرآن ص ٧٩ طبعة دار المعارف .

(3) مشاهد القيامة فى القرآن ص ٦٢ ـ ٦٣ طبعة دار المعارف .

الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية)[1] والغاشية هى القيامة من قوله عز وجل : (يوم يغشاهم العذاب)[2] وسميت القيامة بذلك ، لان ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له ، والقيامة كذلك من وجوه :

(أ) أنها ترد على الخلق بغتة ، وهو كقوله تعالى ذكره (افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله)[3] .

(ب) وأنها تغشى الناس جميعا من الأولين والآخرين .

(جـ) وأنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد .

وقال سعيد بن جبير ومقاتل : ان الغاشية هى النار تغشى وجوه الكفرة وأهل النار.قال الله تعالى (وتغشى وجوههم النار)[4] وقال الله جل ثناؤه : (ومن فوقهم غواش)[5] .

وقال قوم : أن الغاشية أهل النار يغشونها ويقعون فيها[6] .

والأول أولى وأقرب ، لأن الغاشية تغشى الناس وتعمهم[7] وتغمرهم بأهوالها وهو من الأسماء الموحية ، وهذا الخطاب ـ (هل أتاك) ـ كان الرسول ﷺ يحس وقع توجيهه الى شخصه حيث سمع هذه السورة ، وكأنما يتلقاه أول مرة مباشرة من ربه لشدة حساسية قلبه بخطاب الله تعالى ، واستحضاره لحقيقة الخطاب ، وشعوره بأنه صادر اليه بلا وسيط حيثما سمعته أذناه[8] .

روى عن عمر بن ميمون قال : مر النبى ﷺ على أمرأة تقرأ (هل

---

(١) الغاشية/١ ـ ٥ .
(٢) العنكبوت/٥٥ .
(٣) يوسف/١٠٧ .
(٤) ابراهيم/٥٠ .
(٥) الأعراف/٤١ .
(٦) التفسير الكبير للرازى جـ ١٥١/٣١ .
(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٥٠٢/٤ طبعة الحلبى .
(٨) فى ظلال القرآن جـ ٣٨٩٦/٦ .

أتاك حديث الغاشية) فقام يستمع ويقول : (نعم قد جاءنى) والخطاب مع ذلك عام لكل من يسمع هذا القرآن ، فحديث الغاشية هو حديث هذا القرآن المتكرر ، يذكر به وينذر ويبشر ويستجيش به فى الضمائر الحساسية والخشية والتقوى والتوجس ، كما يثير به الرجاء والتطلع ومن ثم يستحيى هذه الضمائر فلا تموت ولا تفضل[1] ٠

٢٢ ـ القـــــارعة :

قال الله جل ثناؤه (القارعة ـ ما القارعة وما أدراك ما القارعة)[2] القارعة اسم من أسماء يوم القيامة ، كذا قال عامة المفسرين ، وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها ٠

وأهل اللغة يقولون : تقول العرب قرعتهم القارعة ، وفقرتهم الفاقرة ، اذا وقع بهم أمر فظيع ٠

قال ابن أحمـر :

وقارعة من الأيام لولا   سبيلهم لزاحت عنك حينا

وقال آخـــر :

متى تقرع عروتكم نسؤكم   ولم توقد لنا فى القدر نار

وقال الله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة)[3] وهى الشديدة من شدائد الدهر ٠

قوله تعـالى (ما القارعة) استفهام ، أى أى شىء هى القارعة ؟ وكذا (وما أدراك ما القارعة) كلمة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشأنها[4] ٠

والذى نخلص اليه أن المراد بالقارعة ، القيامة ، سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الافزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٦/٣٨٩٦ ٠
(٢) القارعة/١ ـ ٣ ٠
(٣) الرعد/٣١ ٠
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٢٠/١٦٤ ٠

والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجـوم بالتكوير والانكدار والانتشار والأرض بالزلزال والتبديل والجبـال بالدك والنسف[1] . والمشهد المعروض هنا مشهد هول مادى يبدو الناس فى ظله ضئالا على كثرتهم ، فهم (كالفراش المبثوث) مستطارون كذلك مستخفون، وتبدو الجبال الثابتة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح الهوج فمن تناسـق العرض أن تسمى القيامة بالقارعة ، ليتسق الظل الذى يلقبه اللفظ،والجرس الذى تشترك فيه حروفه كلها ، مع منظر الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش .

وقد ألقيت كلمة أولا بلا خبر ولا تمييز لتلقى ظلها وجرسها:(القارعة) ثم أعقبها سؤال للتهويل (ما القـارعة) ثم الاجابة بسؤال آخر للتجهيل : (وما أدراك ما القارعة) وحينما بلغت النفس أقصى درجات الصبر عـلى الجهل والهول كان الجواب أشد هولا (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش)[2] .

٢٣ ــ يوم الدين :

قال الله جل ثنـاؤه (مالك يوم الدين)[3] أى يوم الجـزاء من الرب

---

(١) تفسير العلامة أبى السعود جـ ٨٩٨/٤ .
(٢) مشاهد القيامة فى القرآن ص ٦٥ دار المعارف .
(٣) الفاتحة/٤ . اختلف العلماء أيما أبلغ ملك أو مالك ؟
فقيـل : ان ملك أعم وأبلـغ من مالك ، اذ كل ملك مالك ، وليس كل مالك ملكا ، ولأن أمر الملك نافذ على المالك فى ملكه حتى لا يتصرف الا عن تدبير الملك .
وقيل : ان ملك أبلغ ، لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم ، فالمالك أبلغ تصرفا وأعلم .
وقيـل : ان مالكا أبلغ فى مدح الخـالق من ملك . وملك أبلغ فى مدح المخلوقين من مالك ، لأن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك ، واذا كان الله تعالى مالكا كان ملكا .
وحجة من قرأ (مالك) وجوه :
الأول : فيه حرف زائد فكانت قراءته أكثر ثوابا .
الثانى : أنه يحصل فى القيامة ملوك كثيرون ، أما المالك الحق ليـوم الدين فليس الا الله .
الثالث : المالك قديكون ملكا وقد لا يكون كما أن الملك قد يكون مالكا، وقد لا يكون فالملكية والمالكية،قد تنفك كل واحدة منهما عن الأخرى،الا =

سبحانه وتعالى . واليوم : عبارة عن وقت طلوع الفجر الى وقت غروب الشمس ، فاستعير فيما بين مبتدأ القيامة الى وقت استقرار أهل الدارين فيهما .

= أن المالكية سبب لاطلاق التصرف، والملكية ليست كذلك فكان المالك اولى،

الرابع : ان الملك ملك للرعية ، والمالك مالك للعبيد ، والعبد ادون حالا من الرعية فوجب أن يكون القهر فى المالكية اكثر منه فى الملكية ، فوجب أن يكون المالك أعلى حالا من الملك .

الخامس : أن الرعية يمكنهم اخراج أنفسهم عن كونهم رعية كذلك الملك باختيار انفسهم ، أما المملوك فلا يمكنه اخراج نفسه عن كونه مملوكا لذلك المالك باختيار نفسه فثبت أن القهر فى المالكية أكمل عنه فى الملكية .

السادس : أن الملك يجب عليه رعاية حال الرعية قال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ولا يجب على الرعية خدمة الملك ، أما المملوك فانه يجب عليه خدمة المالك ، وأن لا يستقل بأمر الا باذن مولاه .

وحجة من قال ان الملك أولى من المالك وجوه :

الاول : أن كل واحد من أهل البلد يكون مالكا أما الملك لا يكون الا أعظم الناس وأعلاهم ، فكان الملك أشرف من المالك .

الثانى : أنهم أجمعوا على ان قوله (قل أعوذ برب الناس ملك الناس) لفظ الملك فيه متعين ، ولولا أن الملك أعلى حالا من المالك والا لم يتعين .

الثالث : الملك أولى لأنه أقصر والظاهر أنه يدرك من الزمان ما تذكر فيه هذه الكلمة بتمامها ، بخلاف المالك فانها أطول ، فاحتمل أن لا يجد من الزمان ما يتم فيه هذه الكلمة .

الحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد فى الآخر ، فالمالك يقدر على ما لا يقدر الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها ، والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة الى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية ، فالمالك أقوى من الملك فى بعض الامور ، والملك أقوى من المالك فى بعض الامور ، والفرق بين الوصفين بالنسبة الى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته ، والمالك صفة لفعله . ولا يجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم ولا يدعى به الا الله تعالى روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض» .

وعنه أيضا عن النبى ﷺ قال : «ان أقبح اسم عند الله رجل تسمى ملك الاملاك ـ زاد مسلم ـ لا مالك الا الله عز وجل .

ويجوز أن يوصف بهما من اتصف بمفهومهما ، قال الله العظيم (أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) البقرة/٢٤٧ وقال ﷺ «ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ـ أى وسطه ومعظمه ـ ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة .

وقد يطلق اليوم على الساعة منه ، قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) المائدة/٣ وجمـع يوم أيام ، وأصله أيوام فادغم ، وربما عبروا عن الشدة باليوم ، يقال : يوم أيوم كما يقال : ليلة ليلا – قال الراجز :

نعم أخو الهيجاء في اليوم اليمي[١] .

وهو مقلوب منه ، آخر الواو وقدم الميم ، ثم قلبت الواو ياء حيث صارت طرفا كما قالوا : أدل في جمع دلو .

والدين : الجزاء على الأعمال والحساب بها ، كذلك قال ابن عبـاس وابن مسعود وابن جريج وقتـادة وغيرهم ، وروى عن النبى ﷺ ، ويدل عليه قوله تعالى : (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)[٢] أي حسابهم ، وقال الله تعالى (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت)[٣] وقال الله جل ثناؤه (اليوم تجزون ما كنتم تعملون)[٤] وقال عز شانه : (اننا لمدينون)[٥] أي مجزيون محاسبون .

وقال لبيـــد :

حصادك يوما ما زرعت وانما يدان الفتى يوما كما هو دائن

وقال آخـــر :

اذا مارمونا رمينــاهم ودناهم مثل ما يقرضونا

وقال آخـــر :

وأعلم يقينــا ان ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

وحكى أهل اللغة : دنته بفعله دينا – بفتح الدال – ودينا – بكسرها – جزيته ، ومنه الديان في صفة الرب تعالى أي المجازى،وفي الحديث «الكيس

---

(١) هو أبو الخزر الحمانى كما في اللسان مادة (يوم) .
(٢) النـور/٢٥ .
(٣) غافر/١٧ .
(٤) الجاثية/٢٨ .
(٥) الصافات/٥٣ .

من دان نفسه»[1] ، أى حاسب ،

وقيل : القضـاء ، روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ومنه قول طرفة :

لعمرك ما كنت حمولة معيد   على جدها حربا لدينك من مضر

ومعانى هذه الثلاثة متقاربة ،

والدين : أيضا الطاعة ، ومنه قول طرفة :

وأيام لنـــا غر طوال   عصينا الملك فيها أن ندينا

فعلى هذا هو لفظ مشترك ،

قال ثعلب : دان الرجل اذا أطاع ، ودان اذا عصى ، ودان اذا عز ، ودان اذا ذل ، ودان اذا قهر ، فهو من الأضداد ، ويطلق الدين على العادة والشأن ، كما قال :

كدينك من أم الحـويرث قبلهـا

وقال المثقب يذكر ناقته :

تقـول اذا درأت لها وضينى   أهذا دينـه أبدا ودينى[2]

والدين : سيرة الملك ، قال زهير :

لئن حللت بجوف بنى أسد   فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

أراد فى موضع طاعة عمرو ،

والدين : الداء ، عن اللحيانى ، وأنشد :

---

(١) أخرجه الترمذى فى صفة الجنة ونعيمها رقم ٢٥٢٨ عن شـداد بن أوس رضى الله عنه وأحمـد فى المسند جـ ٣٠٥/٢ ـ ٤٤٥ وابن ماجه فى الصيام ، باب فى الصائم لا ترد دعوته رقم ١٧٥٢ ولفظه : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) ،

(٢) درأت وضين البعـير : اذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليـه لتشده به ، والوضين: بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير ،

٢٤ ـ يوم الحسـاب :

ومعناه أن البارى سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من احسان واساءة يعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوق بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر .

وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : ما منكم من أحد الا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فقيل : ان الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معـا ولا يحاسبهم واحدا بعد واحد والمحاسبة حكم ، فلذلك تضـاف اليه كمـا يضاف الحكم اليه قال الله تعالى (ألا له الحـكم وهو أسرع الحاكمين)[١] . وقال الله جل ثناؤه (وهو خير الحكمين)[٢] .

وروى عن أبى سـعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : «يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيقول له : ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا ؟ وسخرت لك الأنعـام والحـرث وتركتك ترأس[٣] وتربع[٤] ؟فكنت تظن أنك ملاقى يومك هطا ؟ فيقول : لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى» .

قال الترمذى معنى قوله : «اليوم أنساك كما نسيتنى» اليوم أتركك فى العذاب[٥] ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالوا : «يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون[٦] فى رؤية الشمس فى الظهـيرة

---

(١) الأنعام/٦٢ .
(٢) يوسف/٨٠ .
(٣) ترأس/الترؤس التقدم على القوم وأن يصير رئيسهم .
(٤) تربع : أى تأخذ المرباع ، وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسـه من المغانم وهو ربعها ، وروى : (ترتع) بناء من التنعيم والترتع ، يقال : رتعت الابل ، وأرتعها صاحبها : اذا كانت فى موضع خصيب .
(٥) الترمذى فى صفة القيامة باب رقم ٧ حديث رقم ٢٤٣٠ واسناده حسن .
(٦) تضارون : روى بتخفيف الراء من الضمير ، يقال : ضارة يضيره اذا ضره،وروى بتشديد الراء من المضارة،يقال : ضاره يضاره مثل ضره =

ليست فى سحابة ؟ قالوا : لا قال : فهل تضـارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة ؟ قالوا لا قال:فوالذى نفسى بيده ، لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، فيلقى العبد ربه ، فيقول : أى فل(١) ألم اكرمك وأسودك وازوجك ،وأسخر لك الخيل والابل ، واذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا ٠ فيقول : فانى أنساك كما نسيتنى ، ثم يلقى الثـانية فيقول : أى فـل : ألم أكرمك واسودك وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والابل؟واذرك ترأس وتربع؟فيقول: فيقول : بلى يا رب ، فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا ، فيقـول : بلى يارب ، فيقـول ٠ أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا ، فيقـول : فانى أنساك كمـا نسيتنى ، ثم يلقى الثـالث ، فيقول : أى فـل :ألم أكرمك وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والابل ، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب،فيقول : أظننت أنك ملاقى فيقول : أى رب : آمنت بك وبكتابكوبرسلك وصليت وصمت وتصـدقت ، ويثنى بخـير ما استطاع ، فيقول : ها هنا اذن ، ثم يقول : الآن نبعث شاهدا عليك فيتفكر فى نفسه : من ذا الذى يشهد عليه ؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه : انطقى ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق ذلك الذى يسخط الله عليه»(٢) ٠

وقد قال الله تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)(٣) أى حاسبا فعيلا بمعنى فاعل ، واذا نظـر فيهـا ورأى أنه قد هلك ، فان أدركته سـابقة كحسنة وضعت له لا اله الا الله فى كفة فرجت له السـموات والأرض ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله

= يضره،والمعنى فيهما سواء،أى لايضايق بعضكم بعضافىرؤيته ولاينازعه ولا يخالفه ، بل يكونون متفقين فى رؤيته ٠

وقال الجوهرى : يقال : أضرنى فلان : اذا دنا منى دنوا شديدا ، وفى الحديث « لا تضارون فى رؤيته » وبعضهم يقول : «لا تضارون» بفتح التاء ، أى لا تضاقون ، فيكون من الانضمام عنده والازدحام ، على ما ذهب اليه من تفسيره بالقرب والدنو ، أى لا يقرب بعضكم من بعض فتزدحمون ٠

(١) أى فل : منقوص من فلان ، كأنه قال : يافلان ٠

قال الجوهرى : حذفت الألف والنون بغير ترخيم ، ولو كان ترخيمـا لقال : يا فلا ٠

وقال الأزهرى : ليست ترخيم فلان ، ولكنها كلمة على حدة ، فبنو أسد يوقعونها على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد ، وغيرهم يثنى ويجمع ويؤنث ٠ مسلم فى الزهد حديث رقم ٢٩٦٨ ٠ الاسراء/١٤ ٠

ﷺ قال : «ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلا(١) ، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقول : ألك عذر ؟ فيقـول : لا ، يا رب فيقول الله تعالى : بلى ان لك عنـدنا حسنة فانه لا ظلم اليـوم ، فتخـرج بطـاقة فيهـا(٢) : أشـــهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فيقول : احضره وزنك ، فيقول : يا رب ما هذه البطـاقة مع هذه السـجلات ؟ فيقـول ؟ : فانك لا تظلم فتوضـع السجلات فى كفة ، والبطـاقة فى كفة فطاشت(٣) السجلات فيقـول : فانك لا تظلم ، ولا يثقل مع اسم الله شىء»(٤) .

٢٥ ـ يوم الجـــــدال :

قال الله تعالى (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون)(٥) . المراد بهـذا اليوم يوم القيامة(٦) أى (يوم تأتى كل نفس تخاصم عن نفسها وتحج عنها بما أسلفت فى الدنيا من خير أو

---

(١) السجل : الكتاب الكبير .

(٢) بطاقة : البطاقة رفعة صغيرة وهى ما تجعل فى طى الثوب يكتب فيها ثمنه .

(٣) طاشت : خفت .

(٤) الترمذى فى الايمـان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا اله الا الله رقم ٢٦٤١ وأسناده صحيح ، ورواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى وغيرهم .

(٥) النحل/١١١ وقوله تعالى (يوم) منصوب على وجهين :
أحدهما : أن يكون المعنى (ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتى) يعنى أنه تعالى يعطى الرحمة والغفران فى ذلك اليوم الذى يعظم احتيـاج الانسان فيه الى الرحمة والغفران .
والثانى : أن يكون التقدير ، وذكرهم أو ذكر يوم كذا وكذا ،لأن معنى القرآن والعظمة والانذار والتذكير (ينظر التفسير الكبير للرازى جـ ١٢٨/٢٠ وروح المعانى للألوسى جـ ٢٤٠/١٤ من المجلد الخامس) .
والذى نخلص اليه أن قوله (يوم) منصوب على الظـرف بـ (رحيم) وما رتب عليه ، أو على المفعول به وناحية أذكر وهو يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين . ورجح الأول بارتباط النظم عليه ومقـابلته لقـوله تعالى (فى الآخرة هم الخاسرون) ولا يضر تقييد الرحمة بذلك اليوم ، لأن الرحمة فى غيره تثبت بالطريق الأولى .

(٦) روح المعانى للألوسى جـ ٢٤٠/١٤ من المجلد الخامس .

شر أو ايمان أو كفر ، وتوفى كل نفس ما عملت فى الدنيا من طاعة ومعصية وهم لا يظلمون) أى وهم لا يفعل بهم الا ما يستحقونه ويستوجبونه بمـا قدموه من خير أو شر ، فلا يجزى المحسن الا بالاحسان،ولا المسىء الا بالذى أسلف من الاساءة،ولايبخس جزاء احسانه ولايثاب مسىء الا ثواب عمله»(١)٠

واستشكل اضـافة ضمير النفس الى النفس ، ولابد من التغـاير بين المضاف والمضاف اليه ٠

وأجيب بأن المراد بالنفس الأولى جملة بدن الانسان ، وبالنفس الثانية الذات ، فالمعنى يوم يأتى كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه غيرها ، ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها،فهو مجادل ومخاصم عن نفسه لا يتفرغ لغيرها يوم القيامة(٢) ٠

وعلى هذا فان النفس قد يراد بها بدن الحى،وقد يراد بها ذات الشىء وحقيقته فالنفس الأولى هى الجثة والبدن ، والثانية : عينها وذاتها ، فكأنه قيل : يوم يأتى كل انسـان يجادل عن ذاته ولا يهمه شـأن غيره ٠ قال الله تعالى (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)(٣) ٠

وقال العسكرى : الانسان يسمى نفسا ، تقول العرب (ما جاءنى الا نفس واحدة) أى انسان واحد ، والنفس فى الحقيقة لا تأتى ، لأنهـا هى الشىء الذى يعيش به الانسان ٠

وفى البحر انما لم تجىء وتجادل عنها بدل (تجادل عن نفسها) ، لأن القيـل اذا لم يكن من باب ظن وفقد لا يتعدى ظاهرا كان فاعله أو مضمرا الى ضميره المتصل ٠ فلا يقال : ضربتها هند أو هند ضربتها ، وانما يقال : ضربت نفسها هند ، وهند ضربت نفسها (وتانيث له تاتى) مع اسناده الى (كل) وهو مذكر لرعاية المعنى ، وكذا يقال فيما بعد وعلى ذلك جاء قوله:

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٦٨/١٤ الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ٠ من المجلد السابع ٠

(٢) فتح القدير للشوكانى ج ١٩٨/٣ ٠

(٣) عبس/٣٧ ٠

جاءت عليهـا كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم

فأتت على المعنى(١) .

روى عن كعب قال : كنت عند عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فقال : خوفنا يا كعب فقلت : يا أمير المؤمنين أو ليس فيكم كتاب الله تعالى وحكمة رسوله ﷺ ؟ قال : بلى ولكن خوفنا . قلت : يا أمير المؤمنين لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرأت عملك مما ترى ، قال زدنا . قلت : يا أمير المؤمنين أن جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة لايبقى ملك مقرب ولانبى مرسل الا خر جاثيا على ركبتيه حتى أن ابراهيم خليله ليخر جاثيا على ركبتيه ، فيقول: رب نفسى لا أسألك اليوم الا نفسى فأطرق عمر مليا . قلت يا أمير المؤمنين أو ليس تجدون هذا فى كتاب الله ؟ قال : كيف ؟ قلت : قول الله تعالى فى هذه الآية (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها)(٢) .

٢٦ – يوم الشهادة أو يوم يقوم الأشهاد :

قال الله تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيـا ويوم يقـوم الأشـهاد)(٣) أى يوم القيامة تكون النصرة أعظـم وأكبر وأجل(٤) وعبر عنـه بذلك للاشـعار بكيفية النصرة وأنهـا تكون عنـد جمع الأولين والآخرين .

وشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ ، وعلى الكفرة بالتكذيب ، فالأشهاد جمع شهيد بمعنى شاهد كأشراف جمع شريف . وقيل جمع شاهد بناء على فاعلا قد يجمع على أفعـال . وبعض من لم يجوز يقول هو : جمع شـهد – بالسكون – اسم جمع لشاهد ، كما قالوا فى صحب – بالسكون – اسم جمع لصاحب وفسر بعضهم «الأشهاد» بالجوارح وليس بذاك ، وهو عليهما من الشهادة ، وقيل : هو من المشاهدة بمعنى الحضور(٥) .

---

(١) البحر المحيط جـ ٥٤٢/٥ .
(٢) أخرجه أحمد فى الزهد . وروح المعانى للألوسى جـ ٢٤٠/١٤ .
(٣) غافر/٥١ .
(٤) تفسير القرآن العظيم جـ ٨٤/٤ .
(٥) روح المعانى للألوسى جـ ٧٦/٢٤ من المجلد الثـامن والجـامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٣٢٢/١٥ .

وأجاز الأخفش والفـراء (ويوم تقوم الأشـهاد) بالتـاء على تانيث الجماعة . وفى الحديث عن أبى الدرداء وبعض المحدثين يقول عن النبى ﷺ قال : (من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقا على الله عز وجل أن يرد عنه نار جهنم) ، ثم تلا (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا)(1) .

وعنه عليه السلام أنه قال : «من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله عز وجل يوم القيامة ملكا يحميه من النار ومن ذكر مسلما بشىء يشينه به وقفه الله عز وجل على جسر من جهنم حتى يخرج مما قال»(2) .

والشهادة على أربعة أنواع :

النوع الأول : شهادة محمد ـ ﷺ وأمته تحقيقا لشهادة الرسل عـلى قومها .

الثانى : شهادة الأرض والأيام والليالى بما عمل فيها وعليها .

الثالث : شـهادة الجوارح قال الله تعـالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهـم وأرجلهم)(3) وقال الله جل ثنـاؤه (وقالوا لجلودهم لم شـهدتم علينا)(4) .

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : اجتمع عند البيت ثلاثة نفر : ثقفيـان وقرشى ، أو قرشيان ، وثقفى ، كثـير شحم بطونهم ، قليـل فقه قلوبهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما تقول ؟ فقال الآخر يسـمع ان جهرنا ، ولا يسمع ان أخفينا ، وقال الآخر : ان كان يسمع اذا جهـرنا فهو يسمع اذا أخفينا ، فانزل الله عز وجل (وما كنتم تستترون أن يشـهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا

---

(1) غافر/51 .
(2) أبو داود فى كتـاب الأدب ، باب من رد عن مسـلم غيبـة رقم 4883 عن سـهل بن معـاذ ابن أسـد الجهنى ، ويكنى أبا أنس ، مصرى ضعيف .
(3) النور/24 .
(4) فصلت/21 .

مما تعلمــون ، وذلــكم ظنــكم الذى ظننتم بربــكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)[١،٢] .

الرابع : حديث أنس رضى الله عنه وفيه ويختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعمـــاله عن انس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرون مم اضحك ؟ قلنـــا : الله ورسوله اعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، فيقول : يا رب الم تجرنى من الظلم ؟ قال : يقول بلى ، فيقول : فانى لا أجيز اليــوم[٣] على نفسى شاهدا الا منى ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، والكرام الكاتبين شهودا ، قال : فيختم على فيه ويقال لاركانه : أنطقى ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الــكلام ، فيقــول : بعــدا لــكن وسحقا ، فعنكن كنت اناضل»[٤] .

٢٧ ـ يوم الفـــــــرار :

قال الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) أى يراهم ويفر منهم ويبتعد عنهم لان الهول عظيم والخطب جليل .

قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه اى بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وتثنى بخير ، ما استطاعت ، فيقول لها فانى أطلب اليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لى لعلى أنجو مما ترين ، فتقــول له : ما

---

(١) فصلت/٢٢ ـ ٣٣ .

(٢) البخارى فى تفسير حم السجدة ، باب (وما كنت تستترون أن يشــهد عليــكم ســمعكم) جـ ٤٣١/٨ وباب قوله (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم) وفى التوحيد ، باب قول الله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشــهد عليكم سمعكم) ومسلم فى صفات المنافقين رقم ٢٧٧٥ والترمذى فى التفسير ، باب ومن سورة حم السجدة رقم ٣٢٤٥ وقال حديث حسن صحيح .

(٣) أى لا أمضى ولا أقبل على شاهدا .

(٤) المناضلة : النضال فى السهام : أن ترمى أنت ورام آخر ، يطلب كل منكما غلبة صاحبه ، والمراد به هاهنا : المجادلة والمخاصمة .

مسلم فى الزهد رقم ٢٩٦٩ .

(٥) عبس/٣٤ ـ ٣٧ .

أيسر ما طلبت ، ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا اتخوف مثل الذى تخاف.
قال : وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول : يا بنى أى والد كنت لك ؟ فيثنى بخير . فيقول له : يا بنى انى احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى . فيقـول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا ، يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) .

وفى الحديث الصحيح فى أمر الشـفاعة أنه اذا طلب الى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق يقول : نفسى نفسى لا أسألك اليـوم الا نفسى ، حتى أن عيسى بن مريم يقول : لا أسأله اليوم الا نفسى لا أسأله مريم التى ولدتنى ، ولهذا قال الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيـه وصاحبته وبنيه) .

قال قتادة : الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم[1] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «كنا مع النبى ﷺ فى دعوة ، فرفع اليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة ، وقال : أنا سيد النـاس يوم القيامة ، هل تدرون : مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين من صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعى ، وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون الى ما أنتم فيه ، والى ما بلغكم ، ألا تنظـرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا الى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنـا ؟ فقال : ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعـده مثله ، وانه نهانى عن الشجرة ، فعصيت ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى نوح ، فيأتون نوحا ، فيقـولون : يا نوح ، أنت أول الرسل الى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا ، ألا ترى ما نحن

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٤٧٣/٤ .

فيه ، ألا ترى ما بلغنا ؟ الا تشفع لنا عند ربك ؟ فيقول : ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وأنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى ابراهيــم ، فيأتون ابراهيــم فيقولون أنت نبى الله ، وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا الى ربك أما ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وانى كنت كذبت ثلاث كذبات .. فذكرها نفســى ، نفســى ، نفســى ، اذهبــوا الى غيرى ، اذهبوا الى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : أنت رســول الله فضلك برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا الى ربك ، أما ترى الى ما نحن فيه ؟ فيقــول : ان ربى قد غضب اليوم غضبا ، لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعــده مثله وانى قد قتلت نفســا لم أومر بقتلها ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منــه ، وكلمت الناس فى المهد ، اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيــه ؟ فيقــول عيسى ، ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى محمد ، فيأتون محمدا ﷺ . وفى رواية فيأتون فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم النبيين ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ فأنطلق ، فآتى تحت العرش ، فاقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يا محمد ارفع راسك ، سل تعطى واشفع تشـــفع ، فارفــع راسى ، فاقــــول : أمتى يا رب ، أمتى يا رب أمتى يا رب ، فيقال : يا محمد ، ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذى نفسى بيده ان ما بين المصراعين من مصارع الجنة ، كمــا بين مكة وهجر ، أوكما بين مكة وبصرى — وفى كتاب البخارى : كما بين مكة وحمير(1) .

---

(1) البخارى فى الأنبياء ، باب قول الله عز وجل (ولقد أرسلنا نوحا =

وعن أم المؤمنين سودة بنت زمعة قالت : قال النبى ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضهم الى بعض قال : شغل الناس عن ذلك وتلا (يوم يفر) الآية»(١) .

وجاء فى رواية الطبرانى عن سهل بن سعد أنه قيل له عليه الصلاة والسلام ما شغلهم فقال ﷺ نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل يفر منهم لعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا . وقيل : يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات . يقول الأخ لم تواسنى بمالك والأبوان قصرت فى برنا والصاحبة أطعمتنى الحرام ، وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا ، ويشعر بذلك ما أخرج أبو عبيد وابن المنذر عن قتادة : ليس شىء أشد على الانسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يكون يطلب بمظلمة ، ثم قرأ (يوم يفر) الآية(٢) .

وذكر المرء بناء على أنه الرجل لا الانسان ليعلم منه حال المرأة من باب أولى وقيل : هو من باب التغليب ، وفيه نظر .

وجعل بعض العلماء ذكر المقاطعات على هذا النمط من باب الترقى على اعتبار عطف الأب على الأم سابقا على عطفهما على الأخ فيكون المجموع معطوفا عليه ، وكذا فى صاحبته وبنيه ، فقال تأخير الأحب فالأحب للمبالغة ، كأنه قيل : يفر من أخيه بل من أبويه ، بل من صاحبته وبنيه ولا يخفى تكلفة مع اختلاف الناس والطباع فى أمر الحب . ولعل عدم مراعاة ترق أو تدنى لهذا الاختلاف مع الرمز الى أن الأمر يومئذ أبعد من أن يخطر بالبال فيه ذلك(٣) .

= الى قومه) جـ ٦/٢٦٤ ، ٢٦٥ وباب قول الله تعالى (واتخذ الله ابراهيم خليلا) ، وفى تفسير سورة بنى اسرائيل ، باب «ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا» مسلم فى الايمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم ١٩٤ والترمذى فى صفة القيامة باب ما جاء فى الشفاعة رقم ٢٤٣٦ .

(١) أخرجه البيهقى والحاكم وصححه .

(٢) روح المعانى للآلوسى جـ ٦١/٣٠ من المجلد العاشر .

(٣) السابق جـ ٦١/٣٠ .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه يفر قابيل من هابيل ،ويفر النبى ﷺ من أمه ، ويفر ابراهيم عليه السلام من أبيه ، ويفر نوح عليه السلام من ابنه ، ويفر لوط عليه السلام من امرأته(١) ٠

قال الألوسى : والذى أدين الله تعالى به نجاة أبويه ﷺ وقد الفت رسائل فى ذلك رغما لأنف على القارى ومن وافقه ، واعتقد أن جميع آبائه عليه الصلاة والسلام لاسيما من ولداه بلا واسطة أوفر الناس حظًا مما أوتى هناك من السعادة والشرف وسمو القدر ٠

كم من أب قد سما بابن ذرى شرف كما سما برسول الله عدنان(٢)

٢٨ ـ يوم النــــداء :

النداء يوم القيامة على ثمانية وجوه :

الأول : نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع والتعيير (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم)(٣) فان المولى عز وجل يخبر بما يخاطب به أهل النار على التقريع والتوبيخ اذا استقروا فى منازلهم (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) أن هاهنا مفسرة للقول المحذوف ،وقد للتحقيق ، أى قالوا لهم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم)(٤،٥) ٠

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٢٢٥/٢٩ وروح المعانى للالوسى جـ ٦٢/٣٠ ٠

(٢) روح المعانى للألوسى جـ ٦٢/٣٠ ٠

(٣) الأعراف/٤٤ ٠

(٤) قرأ الأعمش والكسائى (نعم) بكسر العين ، وتجوز على اللغة باسكان العين قال مكى : من قال : (نعم) بكسر العين أراد أن يفرق بين (نعم) التى هى جواب ، وبين (نعم) التى هى اسم للابل والبقر والغنم ، وقد روى عن عمر انكار (نعم) بفتح العين فى الجواب ، وقال : قلْ : نعم ، ونقم لغتان بمعنى العدة والتصديق ، فالعدة اذا استفهمت عن موجب نحو قولك : أيقوم زيد ؟ فيقول : نعم ٠ والتصديق اذا أخبرت عما وقع ، تقول: قد كان كذا وكذا ، فيقول : نعم فاذا استفهمت عن منفى فالجواب : (بلى) نحو قولك ، ألم أكرمك ٠ فيقول : بلى ٠ فنعم لجواب الاستفهام الداخل على الايجاب كما فى هذه الآية ٠ وبلى لجواب الاستفهام الداخل على النفس، كماقال الله تعالى (ألست بربكم قالوا بلى) الأعراف ١٧٢ ٠

(٥) تفسير القرآن العظيم جـ ٢١٤/٢ ٠ وذلك كما أخبر المولىعزوجل

وفى هذا السؤال من السخرية المرة ما فيه .. ان المؤمنين على ثقة من تحقق وعد الله كثقتهم من تحقق وعده ولكنهم يسألون . ويجىء الجواب فى كلمة واحدة .. نعم .

وعندئذ ينتهى الجواب ، ويقطع الحوار (فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون)(١) فيتحدد معنى (الظالمين) المقصود . وهو مرادف لمعنى (الكافرين) فهم الذين يصدون عن سبيل الله ويريدون الطريق عوجا لا استقامة فيه ، وهم بالآخرة كافرين)(٢) .

وفى هذا الوصف (ويبغونها عوجا) أى يبغون لها عوجا بأن يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو أبعد شىء منهما والعوج بالكسر فى المعانى والأعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان فى المنتصب كالرمح والحائط(٣) .

= فى سورة الصافات ٥٢ ــ ٥٩ عن الذى كان له قريب من الكفار (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين . ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) أى ينكر عليه مقالته التى يقولها فى الدنيا ويقرعه بما صار اليه من العذاب والنكال ، وكذلك تقرعهم الملائكة يقولون لهم : (هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) الطور/١٥ ــ ١٦ . وكذلك قرع رسول الله ﷺ قتلى القليب يوم بدر فنادى : يا أبا جهل ابن هشام ويا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة وسمى رؤوسهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا) . فقال عمر : يا رسول الله تخاطب قوما قد جيفوا ، فقال : (والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا) . **البخارى** فى المغازى ، باب شهود الملائكة بدرا وفى الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر **ومسلم** رقم ٩٣٢ فى الجنائز باب المستعذب ببكاء أهله عليه .

وقوله تعالى (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) حذف المفعول من الفعل الثانى اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد . وقيل : لأن ما سادهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا ، وان لم يكن وعده مخصوصا بهم .

(١) الأعراف/٤٤ ــ ٤٥ .
(٢) فى ظلال القرآن جـ ١٢٩٢/٣ .
(٣) تفسير العلامة أبى السعود جـ ٢٥٣/٢ .

وهذا الوصف يوحى بحقيقة ما يريده الذين يصدون عن سبيل الله . انهم يريدون الطريق العوجاء، ولا يريدون الطريق المستقيم. يريدون العوج ولا يريدون الاستقامة ، فالاستقامة لها صورة واحدة : صـورة المرضى على طريق الله ونهجه وشرعه ، وكل ما عداه فهـو أعوج ، وهو ارادة للعوج ، وهذه الارادة تلتقى مع الكفر بالآخرة(١) .

الثـانى :

نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة ، كما أخبر الله عنهم (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين . الذين اتخـذوا دينهم لهوا ولعبـا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقـاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنـا يجحدون)(٢) .

قيل : اذا صار أهل الأعراف الى الجنة طمع أهل النار فقالوا : يا ربنا ان لنا قرابات فى الجنة فأذن حتى نراهم ونكلمهم، وأهل الجنة لا يعرفونهم لسواد وجوههم ، فيقولون (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله) فبين أن ابن آدم لا يستغنى عن الطعام والشراب وان كان فى العذاب .

(قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل : فماذا قالوا:فقيل قالوا (ان الله حرمها على الكافرين) أى منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا ، ولا يحمل التحريم على معناه الشائع ، لأن الدار الآخرة ليست بدار تكليف(٣) .

روى عن أبى موسى الصغار أنه قال : سـألت ابن عبـاس ، أو سئل بن عباس رضى الله عنهما أو سئل أى الصدقة أفضل ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ (أفضل الصدقة الماء ألم تسمع الى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنـة قالوا : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)(٤) ثم وصف الله الكافرين

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ١٢٩٣/٣ .
(٢) الأعراف/٥٠ ـ ٥١ .
(٣) روح المعنى للألوسى جـ ١٢٦/٨ .
(٤) خرجه ابن حاتم بسنده : تفسير القرآن العظيم جـ ٢١٩/٢ .

بما كانوا يعتمدونه فى الدنيا باتخاذهم الدين لهوا ولعبا واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفتها عما أمروا به من العمل للآخرة(١) وثقلتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة ومواعيدها الباطلة ، وهذا شأنها مع أهلها قاتلها الله تغر وتضر وتمر(٢) .

ثم اذا صوت البشر عامة يتوارى ، لينطق رب العزة والجلالة ، وصاحب الملك والحكم : (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) ففعل بهم فعل الناس بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم فى النـار تركا كليا ، فالكلام خارج مخرج التمثيل ، وقد جاء النسيان بمعنى الترك كثيراً ، ويصح أن يفسر به هنا فيكون استعارة أو مجازا مرسلا . وعن مجاهد أنه قال : المعنى نؤخرهم فى النار(٣) .

وعلى هذا فان المولى عز وجل يعاملهم معاملة من نسيهم ، لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شىء ولا ينساه ، كما قال الله تعالى (فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى)(٤) وانما قال هذا من باب المقابلة كقـوله (نسـوا الله فانساهم أنفسهم)(٥) وقال تعالى (كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)(٦) وقال الله تعالى (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا)(٧) .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (فاليوم ننساهم كمـا نسوا لقاء يومهم هذا) قال : نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر . وفى رواية عنه أيضا قال : نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا(٨) . وفى الصحيح أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ألم أزوجك؟ ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى . فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٢١٩/٢ .
(٢) روح المعانى للألوسى جـ ١٢٧/٨ من المجلد الثالث .
(٣) روح المعانى للألوسى جـ ١٢٧/٨ من المجلد الثالث .
(٤) طه/٥٢ .
(٥) الحشر/١٩ .
(٦) طه/١٢٦ .
(٧) الجاثية/٣٤ .
(٨) تفسير القرآن العظيم جـ ٢١٩/٢ .

فيقول : لا ، فيقول الله تعالى فاليوم أنساك كما نسيتنى)[1] .

الثــــالث :

يدعى كل أناس بامامهــم ، قــال الله جل ثنــاءه (يوم ندعو كل أناس بامامهم)[2] قال الزجاج : يعنى يوم القيامة ، وهــو منصــوب على معنى اذكر يوم ندعوا . وقرىء (يدعو) بالياء التحتية على البناء للفاعل، ويدعو على البناء للمفعول ـ والباء فى (بامامهم) للالصاق ، كما تقول : أدعوك باسمك ، ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف هو حال ، والتقدير : ندعو كل أناس متلبسين بامامهم ، أى يدعون وامامهم فيهم نحو : ركب بجنــوده ، والأول أولى[3] .

والامام فى اللغة كل ما يؤتم به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب .

وقد اختلف المفسرون فى تبين الامام الذى تدعى كل أناس به :

فقال ابن عباس والحسن وقتادة أنه كتاب كل انسان الذى فيه عمله، أى يدعى كل انسان بكتاب عمله ، ويؤيد هذا قوله (فأما من أوتى كتابه)[4] الآية .

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنــه عن النبى ﷺ فى قوله تعــالى (يوم ندعو كل اناس بامامهم) قال (يدعى أحــدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ، ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد يقول : اللهم ائتنــا بهــذا وبارك لنــا فى هذا حتى يأتيهم فيقــول أبشروا لكل منكم مثل هــذا ـ قال ـ وأما الكافر فيسود وجهه له يمد له فى جسمه ستون ذراعا عــلى صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا . اللهم لا تاتنا بهذا . قال : فيأتيهم فيقولون اللهم اختره . فيقول (أبعدكم الله فان

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة ، باب رقم ٧ حديث رقم ٢٤٣٠ وأسناده حسن .
(٢) الاسراء/٧١ .
(٣) فتح القدير للشوكانى جـ ٢٤٦/٣ .
(٤) الحاقة/١٩ .

لكل رجل منكم مثل هذا)[1] ونظير هذا قوله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليــوم تجزون ما كنتم تعملون[2] والكتاب يسمى اماما ، لأنه يرجع اليه فى تعرف أعمالهم ٠

وقال ابن زيد : بالكتاب المنزل عليهم ، أى يدعى كل انسان بكتــابه الذى كان يتلوه ، فيدعى أهل التوراة بالتوراة ، وأهل القرآن بالقرآن ، فيقــال يا أهل القــرآن ، ماذا عملتم ، هل امتثلتم أوامره هل اجتنبتم نواهيه ٠ وهكذا ٠

وقال مجاهد : (بامامهم) نبيهم ، والامام من يؤتم به ، فيقال : هاتوا متبعى ابراهيم عليه السلام ، هاتوا متبعى موسى عليه السلام ، هاتوا متبعى الشيطان ، هاتوا متبعى الأصنام ، فيقــوم أهل الحق فيــأخذون كتــابهم بأيمانهم ويقوم أهل الباطل فيأخذون كتابهم بشمالهم ٠

وقال على رضى الله عنه : بامام عصرهم ٠ وروى عن النبى ﷺ فى قوله (يوم ندعوا كل اناس بامامهم) فقــال : (كل يدعى بامام زمانهم وكتــاب ربهم وسنة نبيهم فيقول : هاتوا متبعى ابراهيم هاتوا متبعى موسى هاتوا متبعى عيسى ، هاتوا متبعى محمد ـ عليهم أفضل الصلوات والسلام ـ فيقوم أهل الحق فيأخذون كتابهم بأيمانهم ويقــول هاتوا متبعى الشيطان هاتوا متبعى رؤساء الضلالة امام هذى وامام ضلاله)[3] ٠

وقال محمد بن كعب (بامامهم) بامهاتهم ٠ وامام جمع أمم ٠ قالت الحكماء : وفى ذلك ثلاثة أوجه من الحكمة :

أحدها : لأجل عيسى ٠

---

(١) الترمذى فى التفسير ،باب ومن سورة الاسراء حديث رقم ٣١٣٥، وفى سنده عبــد الرحمن بن أبى كريمة والد السدى الكبــير ، وهو مجهول الحال ، لم يوثقه غير ابن حيان ومع ذلك فقد حسن الترمذى حديثه هذا ٠

(٢) الجاثية/٢٨ ٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقــرطبى جـ ٢٩٧/١٠ وروح المعــانى للألوسى جـ ١٢٧/٨ ٠

والثانى : اظهار لشرف الحسن والحسين .

والثالث : لئلا يفتضح أولاد الزنا .

قال القرطبى : وفى هـذا القـول نظر ، فان فى الحديث الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما «اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان»(١) فقوله : (هذه غدرة فلان ابن فلان) دليل على أن الناس يدعون فى الآخرة بأسمائهم وأسـماء آبائهم وهذا يرد على من قال : انما يدعون بأسماء أمهاتهم، لأن فى ذلك سترا على آبائهم(٢) والله أعلم .

الرابع : نداء الملك ألا ان فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وان فلان بن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا .

الخامس : النداء عنـد ذبح الموت : (يا أهل الجنـة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت)(٣) .

السادس : نداء أهل النار يا حسرتنا ويا ويلتنا .

السابع : نداء الله تعـالى أهل الجنة ، فيقـول : يا أهل الجنـة هل رضيتم ؟ فيقولون:وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول : أعطيتكم أفضل من ذلك رضائى ، روى عن أبى سـعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير فى يديك ، فيقول :

---

(١) البخارى فى الأدب ، باب ما يدعى الناس بآبائهم جـ ٤٦٤/١٠ وفى الجهـاد ، باب اثم الغـادر للبر والفاجر وفى الحيـل ، باب اذا غضب جاريته فزعم أنها ماتت فقضى بقسيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها وفى الفتن ، باب اذا قال عند قوم شيئا ثم خرج بخلافه . ومسـلم فى الجهـاد (باب تحريم الغدر حديث رقم ١٧٣٥ وأبو داود فى الجهاد باب فى الوفـاء بالعهد رقم ٢٧٥٦ ، والترمذى فى السير باب ما جاء فى أن لكل غادر لواء يوم القيامة رقم ١٥٨١ .

(٢) الجـامع لأحـكام القـرآن للقـرطبى جـ ٢٩٧/١٠ ـ ٢٩٨ من المجلد الخامس .

(٣) ينظر ما سبق ـ الجمع بين آيات وردت فى القرآن الكريم ظاهرها التعارض ، عند الحديث عن يوم الحشر .

هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقــول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقــولون : وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقولون : أحل عليكم رضوانى ، فلا أسخط عليكم بعــده أبدا)[1] .

٢٩ ـ يوم الســـــؤال :

ان البــارى عز وجل يسأل الخلائق فى الدنيا والآخــرة تقريرا لاقامة الحجة واظهارا للحكمة ، قال الله تعالى (سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة)[2] وقــال عز شــأنه : (وأســألهم عن القــرية التى كانت حاضرة البحر)[3] وقال جل ثناؤه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا)[4] وهو فى القرآن الكريم كثير .

وقال الله تعالى ذكره (ليسأل الصادقين عن صدقهم)[5] وقال الله تعالى (واذا الموءودة سئلت)[6] . وقال الله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون)[7] قيــل : عن لا اله الا الله . وقــال الله تعــالى (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنــه مســئولا)[8] وقال ﷺ «لاتزول قدما عبــد يوم القيامة ، حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن علمه ما عمــل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقــه ؟ وعن جســمه فيما أبلاه»[9] وفى لفظ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يســأل عن خمس :

---

(١) البخارى فى الرقاق ، باب صفة الجنــة والنار جـ ٣٦٣/١١ ـ ٣٦٤ وفى التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة ، مسلم فى صفة الجنــة ، باب احلال الرضوان على أهل الجنة رقم ٢٨٢٩ ، الترمذى فى صفة الجنة ، باب رقم ١٨ حديث رقم ٢٥٥٨ .

(٢) البقرة/٢١١ .

(٣) الأعراف/١٦٣ .

(٤) الزخرف/٤٥ .

(٥) الأحزاب/٨ .

(٦) التكوير/٨ .

(٧) الحجر/٨٢ .

(٨) الاسراء/٣٦ .

(٩) الترمذى فى صفة القيامة ، باب رقم ١ وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح رقم ٢٤١٩ عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه .

عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم»(١) .

وروى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع ومسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عنه والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٢) .

٣٠ – يوم التفـــــرق :

قال الله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون(٣) فأما الذين آمنوا

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة باب رقم ١ حديث رقم ٢٤١٨ وهو حديث حسن يشهد له الذى قبله .

(٢) البخارى فى الحجة باب الجمعة فى القرى والمدن ، وفى الاستقراض ، باب العبد راع فى مال سيده ، وفى الوصايا ، باب من بعد وصية توصون بها وفى العتق ، باب كراهية التطاول على الرقيق وفى النكاح باب قوا أنفسكم وفى باب المرأة داعية وفى الأحكام فى الباب الأول ومسلم فى الامامة ، باب فضيلة الامام العادل حديث رقم ١٨٢٩ وأبو داود فى كتاب الخراج والامارة والفىء ، باب ما يلزم الامام من حق الرعية حديث رقم ٢٩٢٨ والترمذى ، فى الجهاد ، باب فى الامام حديث رقم ١٥٠٧ .

(٣) (يومئذ) التنوين فيه تنوين عوض من الجملة المحذوفة، أى ويوم تقوم الساعة يوم اذ يبلس المجرمون وقوله (يومئذ يتفرقون) تهويل لقيام الساعة أثر تهويل وفيه رمز الى أن التفرق يقع فى بعض منه ، وفى وجه الرمز الى ذلك بما ذكر خفاء . وضمير (يتفرقون) للمسلمين والكافرين الدال عليهما ما قبل من عموم الخلق وما بعد من التفضيل ، وذهب الى ذلك الزمخشرى .

وقيل هو لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من مبدئهم ومرجعهم واعادتهم لا المجرمون خاصة .

وقال أبو حيان : يظهر أنه عائد على الخلق قبله وهو المذكور فى قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) الروم/١١ .

والمراد بتفرقهم اختلافهم فى المحال والأحوال ، كما يؤذن به التفضيل، وليس ذلك باعتبار كل فرد بل باعتبار كل فريق . فقد أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن أنه قال فى ذلك هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى أسفل سافلين ، والتفضيل يؤذن بذلك أيضا . وهذا التفرق بعد عام الحساب (البحر المحيط ج ١٦٥/٧ والكشاف جـ ٢١٦/٣ وروح المعانى للألوسى ج ٢٦/٢١ من المجلد السابع) .

وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون)[1] • أى يتفرق جميع الخلق ، المدلول عليهم بقوله تعالى (الله يبدأ الخلق)[2] والمراد بالتفرق أن كل طائفة تنفرد ، فالمؤمنون يصيرون الى الجنة ، والكافرون الى النار ، وليس المراد تفرق كل فرد منهم عن الآخر ،ومثله قوله تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير)[3] وذلك بعد تمام الحساب فلا يجتمعون أبدا[4] •

ثم بين سبحانه وتعالى كيفية تفرقهم فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون)[5] أى فى جنة يسيرون بكل مسرة •

---

(١) الروم/١٤ •

(٢) الروم/١١ وهذه الحالة مترتبة على الابلاس (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) الروم/١٣ ففى هذا اليوم يتبين افلاسهم ويتحقق ابلاسهم ، والابلاس يأس مع حيرة ،يعنى يوم تقوم الساعة يكون للمجرم يأس محير لا يأس هو احدى الراحتين ، وهذا لأن الطمع اذا انقطع باليأس ، فان كان المرجو أمرا غير ضرورى يستريح الطامع لأن الانتظار وان كان ضروريا بالابقاء له بوءونه ينفطر فؤاده أشد الانفطار ، ومثل هذا اليأس هو الابلاس •

(٣) الشورى/٧ •

(٤) فتح القدير للشوكانى ج ٢١٨/٤ •

(٥) الروم/١٥ •

والروضة : الأرض ذات النبات والماء ، وفى المثل أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة ، وباعتبار الماء قيل:(أراض الوادى واستراض أى كثر ماؤه وأراضهم أرواحهم بعض الرى من أراض الحوض اذا صب فيه من الماء ما يوارى أرضه ، ويقال : شربوا حتى أراضوا ، أى شربوا عللا بعد نهل •

وقيل معنى أراضوا : صبوا اللبن على اللبن •

قال ابن قتيبة : لا يقال لأرض ذات نبات بلا ماء روضة ، وقيل هى البستان الحسن • وتخصيصها بذات الانهار بناء على العرف وأيا ما كان فتنوينها هنا للتفخيم والمراد بها الجنة •

والحبر : السرور،يقال : حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة وحبورا اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره،وفى المثل امتلأت بيوتهم حبرة ، فهم ينتظرون العبرة وحكى الكسائى : حبرته أكرمته ونعمته ،وقيل:الحبرة: كل نعمة حسنة،والتحبير التحسين،ويقال : فلان حسن الحبر والسبر بالفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة • والتعبير بالمضارع للايذان بتجدد السرور لهم ففى كل ساعة يأتيهم ما يسرون به من متجددات الملاذ وأنواعها المختلفة •

(وأما الذين كفـروا وكذبوا بآياتنـا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) يعنى لا غيبة لهم عنه ولا فتور له عنهم[1] ، كما قال الله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها)[2] وتلك نهاية المطلب وعاقبة المحسنين والمسيئين .

٣١ – يوم الصدر والصدع :

قال الله تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتا)[3] وقال عز شأنه (يومئذ يصدعون[4] ومعناهما معنى الاسم الذى قبله – أى يتفرقون ، ثم أشار الى التفرقة بقوله:(من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون)[5].

٣٢ – يوم لا بيع فيه ولا خلال :

قال الله تعالى ذكره (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه و خـلة ولا شفاعة)[6] وقال عـز شأنه (قل لعبـادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزققناهم سرا وعلانيـة من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال)[7] .

والخلة والخلال الصداقة والمودة .

٣٣ – يوم الشـــــفاعة :

قال الله تعـالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه)[8] وقال الله جل ثناؤه (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)[9] وقال عز شأنه (لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له)[10] وقال الله تعالى ذكره (فما لنا من شافعين)[11] .

---

(١) التفسير الكبير للرازى جـ ١٠٣/٢٥ .
(٢) السجدة/٢ .
(٣) الزلزلة/٦ .
(٤) الروم/٤٣ .
(٥) الروم/٤٤ .
(٦) البقرة/٢٥٤ .
(٧) ابراهيم/٣١ .
(٨) البقرة/٢٥٥ .
(٩) البخارى فى الدعوات باب لكل نبى دعوة تعليقا جـ ٨٢/١١ وقد وصله مسلم فى الايمان ، باب اختباء النبى ﷺ دعوة الشفاعة لأمته .
(١٠) مسلم فى الايمان ، باب اختباء النبى ﷺ دعوة الشفاعة لأمتـه
(١١) البخـارى فى الدعـوات ، باب لكل نبى دعوة جـ ٨١/١١ وفى التوحيد ، باب المشيئة والارادة ، (وما تشاءون الا أن يشاء الله) ومسلم رقم ١٩٨ فى القرآن باب ما جاء فى الدعاء ، والترمذى فى الدعوات ، باب رقم ١٤١ حديث رقم ٣٥٥٦٧ .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رســول الله ﷺ «كل نبى سأل سؤالا . أو قال : لكل نبى دعوة قد دعاها لأمته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة» .

ولمسلم قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أول الناس يشفع فى الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعــا يوم القيامة ، وأنا أول من يقــرع باب الجنــة . وعن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «لكل نبى دعوة قد دعا بها فى أمته وخبــأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيــامة» . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائلة ان شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا» .

٣٤ ــ يوم الآذان :

دخل طاووس على هشام بن عبد الملك ، فقــال له : اتق الله واحذر يوم الآذان فقال : وما يوم الآذان ؟ قال : قوله تعالى (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين)(١) فصفق هشام : فقال طاووس : هذا ذل الصفة ، فكيف ذل المعاينة .

٣٥ ــ يوم الفتنــــة :

قال الله تعالى (يوم هم على النار يفتنون)(٢) أى يعذبون من قولك : فتنت الذاهبة اذا رميت به فى النار .

٣٦ ــ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا :

قال الله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبــل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)(٣) وقال عــز شانه (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا)(٤) فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغنى أحد عن أحد شيئا ، بل ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه .

---

(١) الأعراف/٤٤ .
(٢) الذاريات/١٣ .
(٣) البقرة/٤٨ .
(٤) الدخان/٤١ .

٣٧ ـ يوم النفـــــخ :

قال الله تعالى (يوم ينفخ فى الصور) عن أبى سـعيد الخـدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كيف أنعم وقد التقم صـاحب القـرن القرن ، وجنا جبهته ، وأصغى سمعه ينتظران يؤمر فينفخ ؟ فكأن ذلك ثقل على أصحابه ، فقالوا : فكيف نفعل يا رسول الله ، أو نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل،على الله توكلنا ، وربما قال : توكلنا على الله)[١].

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال فى قوله تعـالى (فاذا نقـر فى الناقور)[٢] الصور ، قال : والراجفة النفخة الأولى والرادفة : الثانية[٣] .

٣٨ ـ يوم الفصـــــل :

قال الله تعالى (ان يوم الفصل كان ميقاتا[٤] يوم ينفخ فى الصـور[٥] فتـأتون أفواجـا وفتحت السـماء فكانت أبوابا[٦] وسيرت الجبـال فكانت سرابا[٧] ان جهنم كانت مرصـادا[٨]للطـاغين [٩] مآبا لابثين فيهـا أحقـابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا[١٠] جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآيتنا كذابا وكل شىء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا . ان للمتقـين مفـازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا

---

(١) الترمذى فى صفة القيامة ، باب ما جاء فى شأن الصور رقم ٢٤٣٣ واسناده ضعيف ولكن له شواهد يقوى بها . فتح البارى ج ٣١٧/١١ .

(٢) المدثر/٨ .

(٣) البخارى تعليقا ج ٣١٧/١١ ـ ٣١٨ فى الرقاق باب نفخ الصور قال الحافظ والفتح وصله الطبرى وابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(٤) يوم الفصل : يوم القيامة . ميقاتا : موعد الحساب .

(٥) الصور : البوق : أفواجا : جماعات .

(٦) وفتحت السماء فكانت أبوابا:انشقت وتصدعت واختل نظامها.

(٧) وسـيرت الجبـال فكانت سرابا : قلعت من أماكنهـا وتناثرت أجزائها وصارت كالسحاب .

(٨) ان جهنم كانت مرصادا : أى ان جهنم تترقب المستحقين للعذاب ليكتوا بنارها .

(٩) للطاغين : المجاوزين الحد فى العصيان . مآبا : مرجعا ومنزلا . لابثين : مقيمين . أحقابا : دهورا متتابعة . بردا : ريحا باردة . حميما : ماء حارا .

(١٠) غساقا:ما يسيل من أجساد أهل النار من الصديد والقيح والعرق.

دهاقا(١) لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جـزاء من ربك عطاء حسابا)(٢) أى ان يوم الفصل – وهو يوم القيامة مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين الا الله عز وجل (٣) كما قال الله تعالى ذكره (وما نؤخره الا لأجل معدود)(٤) .

وهو مشروع فى بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به ... فقـد بدأت السـورة هكذا (عم يتسـاءلون عن النبـأ العظيم الذى هم فيه مختلفون) ثم مضى السياق يقول : (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) . وفى هذه الصيغة رائحة التهديد فكأنما يقول : بانهم سيعلمون ، ولـكن فى وقت لا يجد فيه العلم شيئا وقبل أن يعرض لليوم المعلوم استعرض من مشـاهد الحياة ما فيه الكفاية لمن شاء أن يلتمس الدليل على جدية الخلق ، وجدية الابتلاء ، وجدية الجزاء:(ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنـا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا)(٥) .

---

(١) جزاءا وفاقا : جزاء موافقا لأعمالهم . وكذبوا بآياتنـا كذابا : بالقرآن . أحصيناه كتابا : جمعناه فى كتاب.مفازا : فوزا بالنعيم . حدائق: بساتين فيها ماء وأشجار مثمرة . كواعب : جمع كاعب وهى التى برز ثدياها وتمت أنوثتها . أترابا : متقاربات فى السن . دهاقا : ممتلئة مفعمة ، لغوا : اللغو ما لا يعتد به من الكلام أو الكلام القبيـح . ولا كذابا : أى لا يكذب بعضهم بعضا . عطاء حسابا : عطاء من الله حسابا لما عملوا .

(٢) النبأ/١٧ – ٣٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٤/٤٦٣ وتفسير العلامة أبى السعود جـ ٤/٨١٤ .

(٤) هود/١٠٤ .

(٥) النبأ/١ – ١٦ .

عم : مركبة من كلمتين هما عن،وما الاستفهامية والمعنى:عن أى شىء.
النبأ : الخبر والمراد هنا خبر البعث والقيـامة . كلا : كلمـة ردع . مهادا : فراشا . أوتادا : جمع وتد وهى القطعـة الخشبية التى تدق حول الخيمة لتشد اليها . أزواجا : ذكورا واناثا نومكم سباتا:راحة ودعة تهدأون به وتسكنون النهار معاشا : أى وقتا للسعى الى العيش وطلب الرزق . سبعا شدادا : سبع سـماوات قوية الخلق محكمة . سراجا : السراج هو المصباح والمراد هنا الشمس ، وهاجا : متلألئا وقادا ، والوهاج الذى يجمـع النور والحرارة والمعصرات : السحب المحملة بالأمطار . ماء ثجاجا : ماء منصبا بشدة . حبا : الحب ما يقتات به كالحنطة والحمص والفول وغير ذلك .

وفى هذه المشاهد كلها دليل على قدرة الله عز وجل ، وبعــد أن عدد القرآن الكريم بعض مظاهر قدرة الله جل ثناؤه انتقل الى بعض مظاهر يوم القيامة ، فيوم القيامة هو وقت ميعاد للناس جميعا حيث يثابون عن أعمالهم الحسنة ويعاقبون على أعمالهم السيئة ، فالله لم يخلق الناس سدى ليفسدوا فى الأرض ويظلموا فيهــا بدون أن يســألوا عن أعمالهم فى الآخرة ، اذ ان العدالة الالهية جعلت يوم القيامة هو الموعد المحدد للحساب حيث يفصل الله فيه بين الحقّ والباطل ٠

ثم أخذ فى عرض مشاهد يوم الفصل الذى جعله موعدا وميقاتا : (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) ٠

والصور على هيئة قرن ينفخ فيه فيجعــل الله ذلك سببا لعودة الأرواح الى أجسامها ، وهذا ما يسمى بالنفخة الثانية ٠ وهناك نفخة أولى تسبقها يتم بها موت الخلائق عامة فى السموات والأرض ، قال الله تعالى (ونفخ فى الصــور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شــاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)(١) فعنــد النفخة الثانية فى الصور يبعث الله الناس من قبورهم ويأتون جماعات وفرقا مختلفة حسب تبــاين عقــائدهم وأعمالهم للحساب ٠ روى صاحب الكشاف عن معاذ بن جبل انه سال رسول الله ﷺ ، فقــال عليه الصــلاة والسلام : يا معــاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ، ثم أرسل عينيه وقال : يحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها ، وبعضهم عمى ، وبعضهم صم بكم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع ، وبعضهم متقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم يصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ٠ فأما الذين على صورة القردة فالفتات من النــاس ٠ وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت ٠ وأما المنكســون على وجوههم فآكلة الربا ، وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم والبكم فالمعجبون

---

(١) الزمر/٦٨ ٠

بأعمالهم ، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى من أموالهم ، وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء»(١) .

ثم عرض المشهد المصاحب فى السماء والأرض : فالسماء فتحت فصارت أبوابا بعد أن كانت (سبعا شدادا) والجبال سيرت فصارت سرابا بعد أن كانت (أوتادا) . ثم ها نحن أولاء نشهد جهنم نترصد الكافرين فهى فى ارتقاب وانتظار، وهى مآب الظالمين ومردهم، وهم يردونها للاقامة واللبث لا للمرور والمشاهدة ، لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ، الا ماء ساخنا يشوى البطون والحلوق ، والا ما يفسق ويسيل من أجساد المحروقين ، وهو أشد وأنكى من الحميم . وذلك جزاء يوافق أعمالهم، فلقد كانوا لا ينتظرون يوم الحساب، وكانوا يكذبون به أشد التكذيب ، بينما قد أحصيت أعمالهم فى كتاب دقيق.

وعقب عرض حالهم فى هذا المشهد الأليم نسمع كلمات التأنيب توجه اليهم من التيئيس من تغيير الحال (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا)(٢) .

ثم يعرض المشهد المقابل : مشهد النقاة فى النعيم ، بعد مشهد الطغاة فى الحميم وان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا) وهو نعيم حسى، أما حقيقة مذاقه والتمتع به فهو فوق مدارك البشر ، ونعيم الآخرة يفوق نعيم الدنيا بنوعيته ودوامه ، اذ نعيم الدنيا قليل زائل ، يقول النبى ﷺ فى وصف نعيم الآخرة فى حديث قدسى عن رب العزة :

أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقرءوا ان شئتم : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة

---

(١) الكشاف جـ ٢٠٨/٤ والتفسير الكبير للرازى جـ ١١/٣١ - ١٢ .
(٢) مشاهد يوم القيامة/١٨٩ .

أعين)[1] وفى رواية أخرى قال : (يقــول الله عــز وجل : أعــددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا ، بله ما أطلعكم عليه»[2] ثم قرأ:(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)[3]. [السجدة/١٧] .

---

(١) السجدة/١٧ .

(٢) بله : من أسماء الأفعال يقال : بله زيدا بمعنى دعه واتركه وقد توضع موضع المصدر فيقال : بله زيد ، كأنه قال : ترك زيد .

(٣) البخارى فى بدء الخلق ، باب ما جاء فى صفة الجنة ٦/٢٣٠ وفى تفسير سورة السجدة ، باب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) وفى التوحيــد ، باب قوله تعــالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ومسلم فى الجنة فى فاتحة رقم ٢٨٢٤ والترمذى فى التفسير ، ومن سورة السجدة رقم ٣١٩٥ .

القسم الثاني

الامثـــــــال



معنى المثل فى اللغة :

يقول التهانوى : ان (المثل) ـ بفتح الميم والثاء ـ فى الأصل بمعنى النظير ، ثم نقل منه الى القول السائر ، أى الفاشى الممثل مضربه بمورده وهو من المجاز المركب[1] .

وجاء فى لسان العرب أن (مثل) كلمة تسوية ، يقال : هذا مثله ومثله ـ بكسر الميم وسكون الثاء فى الأول وفتحهما فى الثانى ـ أى شبهة وشبيهه بمعنى والفرق بين المماثلة والمساواة : أن المساواة تكون بين المختلفين فى الجنس والمتفقين ، لأن التساوى هو التكافؤ فى المقدار لا يزيد ولا ينقص ، وأما المماثلة فلا تكون الا فى المتفقين ، تقول نحوه كنحوه ، ولونه كلونه ، وطعمه كطعمه .

فاذا قيل هو مثله على الاطلاق فمعناه أنه يسد مسده ، واذا قيل هو مثله فى كذا ، فهو مساو له فى جهة دون جهة[2] .

ويقول الراغب الأصبهانى : ان المثل عبارة عن المشابهة لغيره فى معنى المعانى أى معنى كان ، وهو أعظم الالفاظ الموضوعة للمشابهة ، وذلك أن الند يقال فيما يشارك فى الجوهر فقط ، والشبه يقال فيما يشارك فى الكيفية فقط والمساوى فيما يشارك فى الكمية ، والشكل فما يشارك فى القدر والمساحة[3] .

ويروى الرازى أن المثل ـ بكسر الميم ـ هو الذى يكون مساويا للشىء فى تمام الماهية والمثل ـ بفتح الميم هو الذى يكون مساويا له فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية)[4] .

ويرى الزركشى مؤيدا رأى الرازى ـ أنه لو كان المثل والمثل سيان للزم التنافى بين قوله (ليس كمثله شىء) وبين قوله (لله المثل الأعلى) فان الأولى نافية له ، والثانية مثبتة له)[5] .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ـ محمد على بن محمد حامد الفاروقى ج ٤/١٣٤٠ طبعة سنة ١٩٦٢ .

(٢) لسان العرب ج ١٤/١٣١ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصبهانى ص ٤٦٢ .

(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١/٤٩٠ .

(٥) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ١/٤٩٠ .

تعريف المثل فى الاصطلاح :

يقول المبرد : ان المثل قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول مأخوذ من المثال ، والأصل فيه التشبيه فقولهم : مثل بين يديه ، أى وقف مشبها الصورة المنتصبة ، وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه بماله من الفضل . فحقيقة المثال ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول ، ومن هنا سميت الحكم القائم صدقها فى العقول أمثالا ، لانتصاب صورها فى العقول مشتقة من المقول الذى هو الانتصاب(١) .

وقال الزمخشرى : قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ، ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه(٢) .

ويقول الرازى (ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل . وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه)(٣) .

ويرى الألوسى أن تفسير المثل بالقول السائر الممثل مضربه بمورده ، يرد عليه أمثال القرآن ، لأن الله تعالى ابتدأها وليس لها مورد من قبل ، اللهم الا أن يقال أن هذا الاصطلاح جديد ، وأن الأغلب فى المثل ذلك(٤) .

ويرى الألوسى أنه قد (أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن المشتمل اما على تشبيه بلا تشبيه ، أو استعارة رائقة تمثيلية وغيرها ، أو حكمة وموعظة نافعة ، أو كتابة بديعة ، أو نظم من جوامع الكلم الموجز ، ولا يشترط أن يكون استعارة مركبة خلافا لمن وهم ، بل لا يشترط أن يكون مجازا . وهذه أمثال العرب افردت بالتاليف ، وكثرت فيها التصانيف ، وفيها الكثير مستعملا فى معناه الحقيقى ، ولكونه فريدا فى بابه ، وقد قصد حكاية لم يجوزوا تغييره لفوات المقصود)(٥) .

---

(١) الامثال للميدانى – أبى الفضل احمد بن محمد النيسابورى ت٥١٨هـ جـ١/٥ المطبعة الخيرية سنة ١٣١٠هـ .
(٢) الكشاف جـ ٧٢/١ والوسيلة الأدبية جـ ٦٤/٢ .
(٣) مفاتيح الغيب جـ ٢٩٣/١ .
(٤) روح المعانى للألوسى جـ ١٩٣/١ .
(٥) روح المعانى جـ ١٦٣/١ .

الامثـــال القـــرآنية

ـ اهمية الأمثال فى القرآن ٠

ـ الالفاظ القرآنية الجارية مجرى الأمثال ٠

ـ أمثال القرآن قسمان : ظاهر مصرح به وكامن لا ذكر للمثل فيه ٠

قال المرصفى : أكثر الناس من التأليف فى الأمثال العربية وغيرها من الشعر وغيره ، وللطباع استراحة الى الأمثال ، فانك تجدها فى سائر أجناس الناس يجد لونها فى أحاديثهم منتهى الحجة وموضع الحكم وذريعة الاذعان والاعتراف(١) ثم نقل عن الزمخشرى قوله: (ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى فى ابراز خبيات المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك صورة المتخيل فى صورة المحقق ، والمتوهم فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تثبيت الخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الأبى ولأمر ما أكثر الله فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء . قال الله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)(٢) ، (٣) .

وبحق فان المقصود من ضرب الأمثال (أنها تؤثر فى القلوب ما لا يؤثره وصف الشىء فى نفسه ، وذلك لأن الغرض فى المثل تشبيه الخفى بالجلى ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقا للعقل ، وذلك هو النهاية فى الايضاح ألا ترى أن الترغيب اذا وقع فى الايمان مجردا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه فى القلب كما يتأكد وقوعه اذا مثل بالنور ، واذا زهد فى الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه فى العقول كما يتأكد اذا مثل بالظلمة ، واذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ فى تقرير صورته من الأخبار بضعفه مجردا ولهذا أكثر الله تعالى فى كتابه المبين ، وفى سائر كتبه وأمثاله ....)(٤) .

ويقول الزركشى فى هذا الصدد أيضا : (وفى ضرب الأمثال من تقـرير المقصود ما لا يخفى ، اذ الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلى ، والشاهد

---

(١) الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفى جـ ٦٤/٢ .
(٢) العنكبوت/٤٣ .
(٣) الكشاف للزمخشرى جـ ٧٢/١ والوسيلة جـ ٦٤/٢ .
(٤) التفسير الكبير للرازى جـ ٢٩٣/١ .

بالغائب ، فالمرغب فى الايمان مثلا اذا مثل له بالنور تأكد فى قلبه المقصود ، والمزهد فى الكفر اذا مثل له بالظلمة تأكد قيمة فى نفسه ، وفيه أيضا تبكيت الخصم،وقد أكثر الله تعالى فى القرآن وفى سائر كتبه من الأمثال)(١) مبهمة فيصعب أن يحيط بها وينفذ منها فيستخرج سرها ، والمثل هو الذى يفصل اجمالها ويوضح ابهامها ، فهو ميزان البلاغة وقسطاسها ومشكاة الهداية ، ونبراسها)(٢) .

ومن حكمة المثل القرآنى كما يقول الزركشى (ومن حكمته تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة ، والمثل أعون على البيان)(٣) .

وأورد على ذلك قول بعضهم:لماذا كان المثل عونا على البيان،وحاصله قياس معنى بشىء من عرف ذلك المقيس ، فحقه الاستغناء عن شبيهه ، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة .

وأجيب عن ذلك بأن الحكم والأمثال تصور المعانى تصور الأشخاص، فان الأشخاص والأعيان أثبت فى الذهن ، لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، بخلاف المعانى المعقولة ، فانها مجردة عن الحس ولذلك دقت ، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل الا بأن يكون المثل المضروب مجريا مسلما عند السامع(٤) .

والانسان يذكر (معنى فلا يلوح له كما ينبغى ، فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك أن من طبع الخيال حب المحاكاة ، فاذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيال ، ولا شك أن الثانى يكون أكمل ، واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره فى الكتاب الذى أنزل تبيانا لكل شىء)(٥) .

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ٤٨٨/١ .

(٢) تفسير المنار ج ٢٣٧/١ محمد رشيد رضا مطبعة دار المنار ، القاهرة ١٣٦٧هـ .

(٣) البرهان فى علم القرآن للزركشى ج ٤٨٧/١ .

(٤) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج ٤٨٨/١ .

(٥) غرائب القرآن للنيسابورى ج ١٩٥/١ .

وربما تكون (المعانى التى يراد تفهيمها معقولة صرحة ، فالوهم ينازع العقل فى ادراكها ، متى يحجبها عن اللحوق بما فى العقل ، فبضرب الأمثال تبرز فى معرض المحسوس فيساعد الوهم العقل فى ادراكها ، وهناك تتجلى غياهب الأوهام ويرتفع شغب الخصام(١) .

والى جانب ذلك فان للأمثال أهمية أخرى فى التذكير والوعظ ، يقول العز بن عبد السلام ت ٦٦٠هـ . :

(انما ضرب الله الأمثال فى القرآن تذكيرا ووعظا ، فما أشتمل منها على تفاوت فى ثواب ، أو على احباط عملى ، أو على مدح أو ذم أو نحوه ، فانه يدل على الأحكام)(٢) .

وقد عده الامام الشافعى رضى الله عنه ت٢٠٤هـ (مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن) ، فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المثبتة لاجتناب معصيته وترك المفضلة عن الحفظ ، والازدياد من نوافل الفضل)(٣) .

روى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ان القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال)(٤) .

ومن اجل هذا يقول ابن كثير رضى الله عنه (اذا سمعت المثل فى القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسى ، لأن الله تعالى قال : (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)(٥،٦) .

---

(١) روح المعانى للألوسى جـ ١٦٣/١ .
(٢) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٣٨/٤ .
(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى جـ ٤٨٦/١ ، والاتقان فى علوم القرآن جـ ٣٨/٤ .
(٤) البيهقى .
(٥) العنكبوت/٤٣ .
(٦) تفسير القرآن العظيم جـ ٦٥/١ .

الألفاظ القرآنية الجارية مجرى الأمثال

يقول المرصفى : عقد جعفر بن شمس الخلافة ت ٦٢٢هـ٠فى كتاب الآداب بابا للألفاظ القرآنية الجارية مجرى الأمثال ، ومن ذلك قوله تعالى :

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)(١) ،

(الآن حصحص الحق)(٢) ،

(ذلك بما قدمت يداك)(٣) ،

(وقضى الأمر الذى فيه تستفتيان)(٤) ،

(أليس الصبح بقريب)(٥) ،

(وحيل بينهم وبين ما يشتهون)(٦) ،

(لكل نبأ مستقر)(٧) ،

(ولا يحيق المكر السىء الا بأهله)(٨) ،

(قل كل يعمل على شاكلته)(٩) ،

(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)(١٠) ،

(كل نفس بما كسبت رهينة)(١١) ،

(ما على الرسول الا البلاغ المبين)(١٢) ،

(هل جزاء الاحسان الا الاحسان)(١٣) ،

(ما على المحسنين من سبيل)(١٤) ،

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة)(١٥) ٠

(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)(١٦) ،

(ولا ينبئك مثل خبير)(١٧) ،

---

(١) آل عمران/٩٢ ٠
(٢) يوسف/٥١ ٠
(٣) الحج/١٠ ٠
(٤) يوسف/٤١ ٠
(٥) هود/٨١ ٠
(٦) سبأ/٥٤ ٠
(٧) الأنعام/٦٧ ٠
(٨) فاطر/٤٣ ٠
(٩) الاسراء/٨٤ ٠
(١٠) البقرة/٢١٦ ٠
(١١) المدثر/٣٨ ٠
(١٢) المائدة/٩٩ ٠
(١٣) الرحمن/٦٠ ٠
(١٤) التوبة/٩١ ٠
(١٥) البقرة/١٤٩ ٠
(١٦) يونس/٩١ ٠
(١٧) فاطر/١٤٠ ٠

(كل حزب بمالديهم فرحون)[١٨] ،
(وقليل من عبادى الشكور)[١٩] ،
(لا يكلف الله نفسا الا وسعها)[٢٠] ،
(ولا يستوى الخبيث والطيب)[٢١] ،
(ألا تزر وازرة وزر أخرى)[٢٢] ،

---

(١٨) الروم/٣٢ ،
(١٩) سبأ/١٣ ،
(٢٠) البقرة/٢٨٦ ،
(٢١) المائدة/١٠٠ ،
(٢٢) النجم/٣٨ ،

امثـــال القـــرآن قسمان

أمثال القرآن قسمان : ظاهر مصرح به ، وكامن لا ذكر للمثل فيه :

فمن أمثلة الأول قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)(١) . الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين : مثلا بالنار ، ومثلا بالمطر .

أخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : هذا مثل ضربه الله للمنافقين ، كانوا يعتزون بالاسلام ، فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ، ويقاسمونهم الفىء ، فلما ماتوا سلبهم الله العز ، كما سلب صاحب النار ضوءه .

(وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) يقول فى عذاب . (أو كصيب) هو المطر ضرب مثله فى القرآن . (فيه ظلمات) يقول : ابتلاء . (ورعد وبرق) تخويف . (يكاد البرق يخطف أبصارهم) يقول : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين . (كلما أضاء لهم مشوا فيه)(٢) يقول : كلما أصاب المنافقون فى الاسلام عزا اطمأنوا ، فان أصاب الاسلام نكبة قاموا ، ليرجعوا الى الكفر ، كقوله : (ومن الناس من يعبد الله على حرف)(٣) الآية .

ومنها قوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النــار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)(٤) .

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكلها ، (فأما الزبد فيذهب جفاء) وهو الشك . (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، وهو

---

(١) البقرة/١٧ ــ ١٩ .
(٢) البقرة/١٩ ــ ٢٠ .
(٣) الحج/١١ .
(٤) الرعد/١٧ .

اليقين ، كما يجعل الحلى فى النار ، فيؤخذ خالصه،ويترك خبيثه فى النار، كذلك يقبــل الله اليقين ويترك الشك . وأخرج عن عطاء قال : هذا مثــل ضربه الله للمؤمن والكافر .

وأخرج عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثــل واحد ، يقول : كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ، ولا ترجى بركتــه كذلك يضمحل الباطل من أهله ، وكمــا مكث هذا الماء فى الأرض فأمرعت وربت بركته ، وأخرجت نباتها ، وكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار ، فاذهب خبثه،كذلك يبقى الحق لأهله،وكما اضمحل خبث هذا الذهب حين أدخل فى النار ، كذلك يضمحل الباطل عن أهله .

ومنها قوله تعالى (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعنــاب تجرى من تحتها الأنهــار له فيها من كل الثمرات وأصــابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصــار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)(١) .

أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:قال:عمر بن الخطاب رضىاللهعنه يوما لأصحاب النبىﷺفيمن ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) ؟ قالوا : الله أعلم فغضب عمر رضى الله عنه وقال : قولوا نعلم أو لا نعلم . فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى نفسى منها شيء فقال:يا ابن أخى،قل ولا يحقره نفسك ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ضربت مثلا لعمل ، قال عمر : أى عمل ؟ قال ابن عباس رضى الله عنهما : لرجل غنى يعمل بطاعة الله،ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى اغرق(٢) اعماله(٣) .

وأما الأمثال الكامنة فينقل الشيخ المرصفى عن الماوردى قوله : (سمعت

---

(١) البقرة/٢٦٦ .

(٢) أغرق أعماله : الصالحة ، أضاعها بما ارتكب من المعاصى .

(٣) البخارى فى تفسير سورة البقرة ، باب قوله تعالى (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعنــاب) ج ٨/١ ، ٢ قال الحــافظ : وقوله : (أغرق أعماله) أى أعماله الصالحة .

أبا اسحاق وابراهيم بن مضارب بن ابراهيم ت ٤٥٠هـ يقـول : سمعت أبى يقول : سألت الحسين بن الفضل فقلت انك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد فى كلام الله : خير الأمور أوسطها ؟ .

قال : نعم فى أربعة مواضع :

– قوله تعالى (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)(١) .

– وقوله عز وجل(والذين اذا أنفقـوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)(٢) .

– وقوله جل ثناؤه (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)(٣) .

– وقوله تبارك وتعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا)(٤) .

– قلت : فهل تجد : فى الحركات البركات ؟

قال فى قوله عز وجل (ومن يهاجر فىسبيل الله يجد فىالأرض مراغا كثيرة وسعة)(٥) .

– قلت : فهل تجد كما تدين تدان ؟ .

قال فى قوله عز وجل (من يعمل سوء يجز به)(٦) .

– قلت : فهل تجد فيه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟ .

قال فى قوله تعالى (قال هل آمنكم عليه الا كمـا أمنتكم على أخيـه من قبل)(٧) .

– قلت : فهل تجد : ليس الخبر كالعيان ؟ .

قال:فى قوله تعالى (قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)(٨).

– قلت : فهل تجد : من أعان ظالما سلط عليه ؟ .

---

(١) البقرة/٦٨ .
(٢) الفرقان/٦٧ .
(٣) الاسراء/٢٩ .
(٤) الاسراء/١١٠ .
(٥) النساء/١٠٠ .
(٦) النساء/١٢٣ .
(٧) يوسف/٦٤ .
(٨) البقرة/٢٦٠ .

قال في قوله تعالى (كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير)[1] .

ـ قلت : فهل تجد فيه قولهم : لا تلد الحية الا الحية ؟ .

قال : (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا)[2] .

ـ قلت : فهل تجد فيه : الجاهل مرزوق والعالم محروم ؟ .

قال : (من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا)[3] .

ـ قلت : فهل تجد فيه : للحيطان اذان ؟ .

قال في قوله عز وجل (وفيكم سماعون لهم)[4] .

ـ قلت : فهل تجد فيه : الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزافا ؟ .
قال : في قوله جل ثناؤه (اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم)[5] .

ـ قلت : فهل تجد في كتاب الله : ومن جهل شيئا عاداه ؟ .

قال : في موضعين :

ـ في قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)[6] .

ـ وفي قوله عز وجل (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم)[7] .

ـ قلت فهل تجد في كتاب الله : احذر شر من احسنت اليه .

قال:في قوله تعالى(وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله)[8،9].

واذا أمعنا النظر في تلك العبارات القرآنية فاننا ندرك أنها (لا تدخل في باب الأمثال فان اشتمال العبارة على معنى وردفيمثل من الأمثال لايكفى

---

(١) الحج/٤ .
(٢) نوح/٥ .
(٣) مريم/٧٥ .
(٤) التوبة/٤٧ .
(٥) الأعراف/١٦٣ .
(٦) يونس/٣٩ .
(٧) الاحقاف/١١ .
(٨) التوبة/٧٤ .
(٩) الوسيلة الأدبية جـ ٢/٦٤ ـ ٦٥ .

لاطلاق لفظ المثل على تلك العبارة ، فالصيغة الموروثة ركن أساسى فى المثل، لذلك نرى أن اصطلاح العلماء على تسمية هذه العبارات القرآنية : امثــالا كامنة محاولة لا تستند على دليل نصى تاريخى)[1] ٠

وعــلى هذا فالأولى أن نسمى ما اصطلح عليــه الزركشى والسيوطى بالأمثال الكامنة أن نطلق عليه الألفاظ القرآنية الجارية مجرى الأمثال ٠

---

(١) الأمثال فى النثر العربى القديم د٠عبد المجيد عابدين ص ١٣٦ دار مصر للطباعة ــ القاهرة ١٩٥٩ ٠

من الامثــال النبــوية الشريفــة

- ان من البيـــان لسحرا ٠
- ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى ٠
- الدين النصيحة ٠
- فى الحب والبغض ٠
- من صـــدق الله نجـــا ٠
- أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ٠

ان من البيـــان لســـحرا

قال رسول الله ﷺ : «ان من البيان لسحرا»(١) ٠

قاله ﷺ حين وفد عليه عمرو بن الاهتم والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم فسـأل ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزبرقـان ، فقـال عمرو : مطاع في اذنيه شـديد العارضة ، أى البيـان واللسن مانع لما وراء ظهره ٠ فقال الزبرقان : يا رسول الله انه أيعلم منى اكثر من هذا ، ولكنه حسدنى فقـال عمرو : أما والله انه لزمر المروءة ، أى قليـل ، ضيق العطش أحمق الولد لئيم الخال ، فرأى الغضب في وجه النبى ﷺ لمكان التناقض في كلامه ، فقال والله يارسول الله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ، ولكنى رجل رضيت ، فقلت أحسن ما عملت وسخطت فقلت أقبح ما وجدت ، فقال ﷺ :

«ان من البيان لسحرا»(٢) ٠

يعنى أن بعض البيان يعمل عمل السحر ،ومعنى السحر اظهار الباطل في صورة الحق ، والبيان اجتماع الفصاحة ، والبـلاغة ، وذكاء القلب من اللسان ، وانما شبه بالسحر لحدة عمله في سامعه ، وسرعة قبـول القلب ٠ يضرب في استحسان المنطق وايراد الحجة البالغة ٠

ان المنبت لا أرضـا قطع ولا ظهر أبقى

المنبت المنقطع عن أصحابه في السفر ، والظهر الدابة ٠

قاله ﷺ لرجل اجتهد في العبادة حتى هجمت عيناه ، أى غارت فلما رآه الرسول ﷺ قال له :

«ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى»(٣) ٠

---

(١) الوسيلة الأدبية جـ ٢/٢٠٤ ٠

(٢) مسلم في أول كتاب الشعر رقم ٢٢٥٧ والترمذى في الآدب ، باب

(٣) الوسيلة الأدبية جـ ٢/٢٠٥ ، والحديث رواه البزار عن جابر ٠ لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا ،أبو داودفي كتاب الأدب ، باب ما جاء في الشعر ،وابن ماجة في الأدب ،باب ما يكره من الشعر رقم ٣٧٥٩ ٠

ان المنبت ، أى الذى يجد فى سيره حتى ينبت أخيرا ، سماه بما تؤول اليه عاقبته كقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون)(١) .

يضرب لمن يبالغ فى طلب الشىء ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه .

الدين النصيحة(٢)

الأصل فى النصيحة التلفيق بين الناس من النصح ، وهو الخياطة ، وذلك أن تلفق بين التفاريق ، وهذا من حديث يروى عن رسول الله ـ ﷺ وعامة : (قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)(٣) .

قال العلماء : النصيحة لله أن يخلص العبد العمل لله . والنصيحة لرسوله ﷺ أن يصفوا قلبه فى قبول دعوى النبوة ولا يضمر خلافها . والنصيحة للمسلمين أن لا يتميزا عنه فى حال من الأحوال .

وقيل النصيحة لأئمة المسلمين أن لا يشق عصاهم ولا يعتق فتواهم .

---

(١) الزمر/٣٠ .

(٢) الوسيلة الأدبية جـ ٢٣٩/٢ .

النصيحة : كلمة يعبر بها عن جملة وهى ارادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر عن هذه اللفظة بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها .

وأصل النصيحة فى اللغة: الخلوص، ومعنى النصيحة لله عز وجل: صحة الاعتقاد فى وحدانيته واخلاص النية فى عبارته . والنصيحة لكتاب الله تعالى: هو التصديق به والعمل بما فيه ، والنصيحة لرسوله ـ ﷺ ـ : التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى عنه والنصيحة لأئمة المؤمنين : أن يطيعهم فى الحق ، ولا يرى الخروج عليهم بالسيف اذا جاروا ، والنصيحة لعامة المسلمين : ارشادهم الى مصالحهم .

(٣) الحديث أخرجه مسلم عن تميم الدارى رضى الله عنه فى الايمان، باب بيان أن الدين النصيحة رقم ٥٥ بلفظ : (أن الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) أخرجه أبو داود فى الأدب باب فى النصيحة رقم ٤٩٤٤ والنسائى فى البيعة ، باب النصيحة للامام جـ ١٥٦/٧ وفى لفظ للترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ، قالوا لمن يارسول الله قال : لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» الترمذى رقم ١٩٢٧ فى البر والصلة ، باب ما جاء فى النصيحة .

فى الحب والبغض

قال ﷺ (احببت حبيبك هونا ما عسى أن يـــكون بغيضك يوما ما ، وابغض بغيضك هوننا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما)(١) ٠

ومنه قول العرب : لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا ٠

ويروى عن بعض الحكماء انه قال : لا تكن فى الاخاء مكثرا ، ثم تكون فيه مدبرا فيعرف سرفك فى الاكثار بجفائك فى الادبار :

ومنه قول النمر بن قولب :

أحببت حبيبك حبـــا رويدا	فليس يعـــولك أن تصرما
وابغض بغيضك بغضـــا رويدا	اذا أنت حاولت أن تحكما

وقال النبى ﷺ : «انما المرء بخليله فلينظـر امرؤ من يخالل»(٢) ٠

من صـــدق الله نجـــا(٣)

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : «أن ثلاثة نفر انطلقوا الى الصحراء فمطرتهم السماء فلجئوا الى كهف فى جبل ينتظرون اقلاع المطر ، فبينما هم كذلك اذ هبطت صخرة من الجبل ، وجثمت على

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى عن أبي هريرة رضي الله عنه فى البر والصـلة ، باب ما جاء فى الاقتصـاد فى الحب والبغض رقم ١٩٩٨ ، ورواه البخارى فى الأدب المفرد رقم ١٣٢١ وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وزاد نسبته للبيهقى فى شعب الايمـان من حديث أبى هريرة ، والطـبرانى من حديث ابن عمر ،وابن عمر والبيهقى فى شعبة الايمان عن على موقوفا٠ قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه ، وقد رواه البخارى فى الأدب المفرد بمعناه عن عمر رضى الله عنه رقم ١٣٢٢ فهو موقوف صحيح ٠

قوله : (هونا ما) الهون الرفق والسكينة ٠ والمضى : أحببه حبا قصدا اذا دفق ، لا افراط فيه واضافة الى (ما) التى تفيد التقليل ، أى حبا قليلا ٠ أراد : اقتصد اذا أحببت واذا أبغضت فعسى أن يصير الحبيب بغيضا ، فلا تكون قد أسرفت فى حبه فتندم على فعلك ، وعسى أن يكون البغيض حبيبا ، فلا تكون قد أفرطت فى بغضه فتستحى منه ٠

(٢) الوسيلة الأدبية جـ ٢٦٨/٢ ٠

(٣) الوسيلة الأدبية جـ ٢٧٦/٢ ــ ٢٧٧ ٠

باب النار فيأسوا من الحياة والنجاة ، فقال أحدهم : لينظر كل واحد منكم الى أفضل عمل عمله فليذكره ،ثم ليدع الله تعالى عسى أن يرحمنا أو ينجينا فقال أحدهم : اللهم ان كنت تعلم أنى كنت بارا بوالدى وكنت آتيهما بغبونهما[1] فوجدتهما قد ناما ، وكرهت أن أوقظهما ، وكرهت الرجوع ، فلم يزل ذلك دأبى حتى تطلع الفجر ، فان كنت عملت ذلك لوجهك فافرج عنا ، فمالت الصخرة عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء .

وقال الآخر اللهم انك تعلم انى هويت امرأة ، ولقيت فى شانها أهوالا حتى ظفرت بها وقعدت منها مقعد الرجل من المرأة . فقالت : انه لا يحل لك أن تغض[2] خاتمى الا بحقه ، فقمت عنها ،فان كنت تعلم أنه ما حملنى على ذلك الا مخافتك ، فافرج عنا ، فانفرجت الصخرة ، حتى لو شاء القوم أن يخرجوا لقدروا .

وقال الثالث : اللهم انك تعلم انى استأجرت أجراء فعملوا فوفيتهم أجورهم الا رجلا واحدا ترك أجره عندى وخرج مغاضبا ، فربيت أجره حتى نما ، وبلغ مبلغا ، ثم جاء الآخير فطلب أجرته فقلت هاك ماترى من المال فان كنت عملت ذلك لك فافرج عنا ، ، فمالت الصخرة ، وانطلقوا سالمين ، فقال ﷺ : (من صدق الله نجا) ومعنى صدق الله ألقى الله بالصدق وهو أن يحقق قوله فعله[3] .

أنصر أخاك ظالما أو مظلوما[4]

يروى أن النبى ﷺ قال هذا . فقيل يا رسول الله هذا ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ .

---

(١) الغبون : شراب آخر النهار ، والمراد : أننى ما كنت أقدم عليهما فى شراب حظهما من اللبن أحدا .
(٢) تغض الخاتم : كناية عن الجماع والوطء .
(٣) البخارى فى الأنبياء ، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل ج ٣٦٧/٦ – ٣٦٨ وفى البيوع باب اذا اشترى شيئا لغيره بغير اذنه فرمى ، وفى الاجارة باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه للمستأجر فزاد ، وفى الحرث والمزارعة ،باب اذا زرع بمال قوم بغير اذنهم ،وفى الأدب باب اجابة دعاء من بر والديه .
ومسلم فى الذكر ، باب أصحاب الغار الثلاثة رقم ٢٧٤٣ وأبو داود فى البيوع ، باب فى الرجل يتجر فى مال الرجل بغير اذنه رقم ٣٣٨٧ .
(٤) الوسيلة الأدبية ج ٢٧٩/٢ .

فقال ﷺ : ترده عن الظلم(1) .

وقال أبو عبيدة أما الحديث فهكذا ، وأما العرب فكان مذهبهما في المثل نصرته على كل حال :

قال المفضل أول من قال ذلك جندب العنبر بن تميم بن عمرو ، وكان رجلا دميما فاحشا ،وكان شجاعا وإنه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان، فلما أخذا الشراب فيهما ، قال جنب بسعد وهو يمازحه يا سعد الشرب لبن اللقاح وطول اللقاح وحسن المزاح أحب اليك من الكفاح ودعس الرماح ، وركض والوقاح .

قال سعد : كذبت والله انى لأعمل العامل ، وانحر البازل ، وأسكت القائل . قال جندب : انك لتعلم أنك لو فزعت دعوتنى عجلا وما ابتغيت لى بدلا ولرايتني بطلا ، اركب العزيمة وامنع الكريمة ، وأحمى الحريمة ، فغضب سعد وأنشأ يقول :

هل يسود الفتى اذا قبح الوجه وأمسى قراه غير عنيد

وإذا الناس في الندى رأوه | نالها قال قول غير سديد

فأجاب جندب :

ليس زين الفتى الجمال ولكن | زينه الضرب بالحسام التليد

ان نيلك الغنى فزين والا | رب رياض باليسير العتيد

قال سعد : وكان عاتقا اما والذى أحلف به لتاسرتك ظعينة بين العرينة والذهنية ، ولقد أخبرني طبرني أنه لا يفكك غيرى .

---

(1) الحديث رواه أنس بن مالك رضى الله عنهما : قال رسول الله (انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما ، كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم ، فان ذلك نصره) وفي رواية قالوا : كيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذ فوق يديه . والحديث بهذا اللفظ أخرجه البخارى في المظالم ، باب أمن أخاك ظالما أو مظلوما جـ ٥/٧٠ و في الاكراه ، باب عين الرجل لصاحبه أنه أخوه اذا خاف عليه القتل أو نحوه ، والترمذى في الفتن باب رقم ٦٨ حديث رقم ٢٢٥٦ .

فقال جندب : كلا انك لجبان ، تكره الطعان وتحب القيان . فتفرقا على ذلك فغبرا حينا ثم أن جندبا خرج على فرس له يطلب القنص فأتى على أمه لبنى تميم يقال ان أصلها من جرهم فقال لها لتمكنني مسورة أو تقهرين محبورة .

قالت مهلا فان المرء من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه ، فنزل اليها عن فرسه مدلا ، فلما دنا منها قبضت على يديه بيد واحدة ، فمازالت تقصرهما حتى صار لا يستطيع أن يحركهما ، ثم كتفته بعنان فرسه وراحت به مع غنمها وهي تحدو به وتقول :

لا تأمنن بعدها الولائدا فسوف تلقى باسلا مواردا

وحية تضحى لحي راصدا .

قال فمر بسعد في ابله ، فقال : يا سعد أغثني . قال سعد ان الجبان لا يغيث .

فقال جندب :

يا أيها المرء الكريم المشكوم انصر أخاك ظالما أو مظلوما

فأقبل اليه سعد فأطلقه[1] .

---

(١) الوسيلة الأدبية جـ ٢/٢٧٩ – ٢٨٠ .

القسم الثالث

(من لطائف المشترك)

الاسئلة الفقهية

من لطـائف المشـترك[1]

من لطائف المشترك أن تمكن بعض الأدباء من وضع أسئلة فقهية يكون الجواب هاهنا مخالفا للشرع بحسب المعنى المتبادر من المشترك موافقا بحسب غيره وسموه فتيا فقيه العرب .

من ذلك ما وضـع الحريرى فى المقامة الثانية والثلاثين من مقـاماته السؤال على لسان شاب عربى والجواب على لسان أبى زيد السروجى[2] .

ــ قال : ما تقول : فيمن توضأ ، ثم لمس ظهر نعله ؟ .

قال : انتقض وضوءه من فعله .

المتبادر من الفعـل المدارس ، ولمسه لا ينقض الوضوء ، وغير المتبـادر الزوجة ولمسها ينقض الوضوء[3] .

ــ قال : فان توضأ ، ثم أنكاه البرد ؟ .

قال : يجدد الوضوء من بعد . أنكاه أضجعه على مرفقه .

---

(1) المشترك هو اللفظة الموضوعة لحقيقتين أو أكثر وضعا أولا من حيث هما كذلك .

ومن أسباب وجود المشترك :

ــ اختلاف القبائل التى تتكلم اللغة العربية ، فقد تصطلح قبيلة على اطلاق لفظ على معنى معين ، وأخرى تطلق نفس اللفظ على معنى آخر ، وقد لايكـون بين المعنيين مناسـبة فيتعدد الوضـع ويصير اللفظ موضوعا للمعنيين ، ثم ينتقل الينا مستعملا فى المعنيين غير نص على اختلاف الواضع .

ــ أن ينقـل اللفظ من معنـاه الأصلى الى معنى اصطلاحى فيكون حقيقة لغوية فى الأول وعرفية فى الثانى وبهذا يكون مشتركا بينهما .

ــ أن يستعمل اللفظ فى غير ماوضع له لعلاقة بين المعنى الأصلى والمعنى الثانى فيكون اللفظ حينئذ معنيان : المعنى الحقيقى للأول ، والمعنى الثانى المجازى ، وينسى التجوز بطول الزمان ، فينتقل اللفظ الينا على أنه حقيقة فى المعنيين . ينظر فى ذلك : مباحث البيان عند الأصوليين والبلاغيين منشأة المعارف ص ١٨٤ و ١٨٧ طبعة ١٩٨٩ للمؤلف .

(2) الوسيلة الأدبية .

(3) هذا عند الشافعية رضوان الله عليهم .

والمتبادر من البرد ضد الحر ،وانكاؤه صاحبه لايبطل الوضوء ولايوجب تجديده والبرد النوم ·

ومن كلام منع البرد البرد ، وانكاء النوم صاحبه بحيث يخـرجه عن المكن مبطل للضوء ·

ـ قال : أيمسح المتوضىء أنثييه ؟

قال : قد ندب اليه ·

ولم يجب عليه المتبادر من الأنثيين الخصيتان ، وليستا من أعضـاء الوضوء ·

والأنثيان الاذنان ومسحهما في الوضوء مطلوب محبوب غير لازم ·

ـ قال : أيجوز التوضوء مما يقذفه الثعبان ؟

قال : وهل ماء أنظف منه للعريان ·

المتبادر من الثعبان الحيوان المعروف ، ولا يجوز التوضوء مما يقذفه من لعابه وغيره ·

والثعبان جمع ثعب بفتح فسكون ، وهى منافع الماء يقر فيها فيصفو·

ـ قال : أيستباح ماء الضرير ؟

قال : نعم ويجتنب ماء البصير ·

المتبادر من الضرير فاقد البصر ،ومن البصير واجده وماؤهما وهو المنى يجتنب لا يجوز استعماله ·

والضرير حرف الوادى ، وماؤها كماء وسطه · والبصير : الكلب ·

ـ قال : أيحل التطوف في الربيع ؟

قال : يكره ذلك للحدث الشنيع ·

المتبادر من الربيع زمان نضارة النبات ، وكثرة الأعشاب ·

والتطوف : تردد الانسان فى البلاد لحوائجه ، وذلك أمر جائز أو واجب فى أى زمن ٠

والتطوف قضاء الحاجة ، والربيع النهر الصغير ، وقضاء الحاجة فيه مكروه للنهى عن البول فى الماء الدائم ، أى الراكد ٠

ومضى الحريرى على هذا النحو حتى استتم مائة مسألة من أبواب الفقه[1]٠

---

(١) الوسيلة الأدبية ج ٤٣/١ – ٤٤ ٠

الخاتمـــــــــة

تناولت فيما سبق الفكر الدينى عند المرصفى وكما يبدو فى كتابه الوسيلة الأدبية ، وتمثل ذلك فى أقسام ثلاثة :

فى الأول : تحدثت عن أسماء يوم القيامة فى البيان القرآنى ، ورأينا – أن اسم الشىء هو ما يعرف به ، وأن أسماء القيامة هى الصورة النوعية التى تدل بخصائصها وهويتها على صفات هذا اليوم ، وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه ، والقيامة لما عظم شأنها وكثرت أهوالها سماها المولى عز وجل فى كتابه العزيز بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة .

وقد أشرت الى تلك الأسماء التى أوردها المرصفى فى كتابه الوسـيلة الأدبية ، وأضفت الى ذلك عدة أسماء أخرى وردت فى البيــان القــرآنى ، استكمالا للفائدة . ويلاحظ أن حديث القرآن الكريم عن هذا اليوم متنوع ، ولكن الحقيقة التى تبدو جلية ويلح القرآن الكريم عليها ويكرر التذكير بهــا أن علم هذا اليوم لا يدركه البشر ،وأن مرد علم هذا اليوم الى المولى عزوجل كما يؤكد القرآن الكريم على أن الانسان فى هذا اليوم سوف يسأل عن أعماله فى الحياة الدنيا ، ليجزى الله عز وجل الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

وفى أثنــاء ذكر تلك الأسماء كان القــرآن الكريم يذكر لنا مشاهد هذا اليوم بصورة تقترب من الذهن ، حتى لكأنها ماثلة أمام أعيننا ، ويخفق لها القلب وتقشعر من حولها الجلود .

وتعنى أسماء يوم القيامة أيضا بصور النعيم والعذاب والترهيب والترغيب وقد استبان لنا من عرض تلك الصور بنوعيها أنها قد عرضت بأسلوب مؤثر يستهدف بث الغبطة فى نفوس المؤمنين حتى يثبتوا فى الطريق القويم ، وفى الجانب الآخر تبدو المقابلة بين هذا النعيم وعذاب النار ، يقول الزمخشرى (واذا كان التقابل فى الصورة سمة بارزة فى تصوير المشاهد ، فانه أكبر بروزا فى مشاهد الآخرة ، حيث تكثر صور التقابل بين نعيم الجنة وعذاب النــار حتى لتكاد هذه الظاهرة تطرد[1] .

---

(١) الكشاف جـ ٣٨٥/٣ .

وتناول القسم الثانى : الحديث عن الأمثال وأهميتها فى القرآن الكريم (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)(١) وقد رأينا أن أمثال القرآن الكريم قد ابتدأها المولى عز وجل وليس لها مورد من قبل ، اللهم الا أن يقال ان هذا الاصطلاح جديد ، وأن الأغلب فى المثل ذلك .

ومن حكمة المثـل القـرآنى تعليم البيـان ، وهو من خصـائص هذه الشريعة ، والمثل أعون على البيان . والانسان يذكر معنى فلا يلوح له كما ينبغى ، فاذا ذكر المثل اتضح وانكشف ، وذلك أن من طبع الخيـال حب المحاكاة ، فاذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعة الخيـال ، ولا شك أن الثانى يكون أكمل،واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره فى الكتاب الذى أنزل تبيانا لكل شىء .

وأيضا فان الله تعالى ذكره قد ضرب الأمثال فى القـرآن أيضا تذكيرا ووعظا ، وقد عده الشافعى رضى الله عنه مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، ومن أجل هذا قال ابن كثير (اذا سمعت المثل فى القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسى لأن الله تعالى قال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)والى جانب ذلك تحدثت عن بعض أمثال الحديث النبوى الشريف وسقت أمثلة لذلك مما أورده المرصفى فى كتابه الوسيلة الادبية وقمت بتوثيق تلك النصوص .

وتحدث القسم الثالث عن لطائف المشـترك (الأسـئلة الفقهيـة) التى اقتبسها المرصفى من مقامات الحريرى .

وبعـــــــد :

فانى أضرع الى المولى عز وجل أن يجعـل هذا العمـل خالصا لذاته العلية ، والله أسأل أن أكون قد وفقت فى تلك الدراسة خدمة للغة العربيـة وكتابها الخالد الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) العنكبوت/٤٣ .

فهارس الكتاب

١ ـ سورة الفاتحة

الآية	رقمها	الصفحة
مالك يوم الدين	٤	٨٤

٢ ـ البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
ختم الله على قلوبهم	٧	٨
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	١٦	٧٥
مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ..	١٧ ـ ١٩	١٢٦
كلما أضاء لهم مشوا فيه	١٩ ـ ٢٠	١٢٦
واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا	٤٨	١٠٩
لا فارض ولا بكر	٦٨	١٢٨
ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب	٨٥	١٧
فالله يحكم بينهم يوم القيامة	١١٣	١٧
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة	١٤٩	١٢٤
ان الذين يكتمون ما أنزل الله	١٧٤	١٧
سل بنى اسرائيل كم آتيناهم	٢١١	١٠٥
وعسى أن تكرهوا شيئا	٢١٦	١٢٤
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم	٢٥٤	١٠٨
من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه	٢٥٥	١٠٨
وانظر الى العظام كيف ننشزها	٢٥٩	٥٦
قال أولم تؤمن قال بلى	٢٦٠	١٢٨
أيود أحدكم أن تكون له جنة	٢٦٦	١٢٧
لا يكلف الله نفسا الا وسعها	٢٨٦	١٢٥

٣ ـ آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم	٧٧	٧٥
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	٩٢	١٢٤

٤ ـ النســـاء

الآية	رقمها	الصفحة
ومن يهاجر فى سبيل الله	١٠٠	١٢٨
من يعمل سوء يجز به	١٢٣	١٢٨

٥ ـ المـــائدة

الآية	رقمها	الصفحة
ما على الرسول الا البلاغ	٩٩	١٢٤
ولا يستوى الخبيث والطيب	١٠٠	١٢٥
وكنت عليهم شـهيدا	١١٧	٣٩

٦ ـ الأنعـــام

الآية	رقمها	الصفحة
ان هى الا حياتنا الدنيـا	٢٩	٢١
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ...	٣١	٢١ ـ ٢٤
بل اياه تدعون	٤١	٢٥
ألا له الحكم وهو أسرع الحاكمين	٦٢	٨٨
لكل نبـأ مسـتقر	٦٧	١٢٤
وتقلب أفئدتهم وأبصارهم	١١٠	٦٦

٧ ـ سورة الأعـــراف

الآية	رقمها	الصفحة
فلنسألن الذين أرسل اليهم	٦	٤٥
كلما دخلت أمة لعنت أختها	٣٨ ـ ٣٩	٤٧
من فوقهم النار	٤١	٨٢
أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا	٤٤	٤٧ ـ ١٠٩
فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين	٤٥	٩٩
ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء	٥٠ ـ ٥١	٤٧ ـ ١٠٠
وأرسل فى المدائن حاشرين	١١١	٣٥
وسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر	١٦٣	١٠٥ ـ ١٢٩
لا يجليها لوقتها الا هو ...	١٨٧	٢٧ ـ ٥٧
قل انما علمها عند الله	١٨٧	٢٦

٩ ـ التـــوبة

١٠ ـ يونس

١١ ـ هـــود

١٢ ـ يوســـف

١٣ ـ الرعد

الآية	رقمها	الصفحة
أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها	١٧	١٢٦
ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا	٣١	٨٣

١٤ ـ ابراهيم

الآية	رقمها	الصفحة
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد	١٥ ـ ١٧	٤١
قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة	٣١	١٠٨
ولا تحسبن الله غافلا	٤٢	٦٧
يوم يبدل الأرض غير الأرض	٤٨	٦١
وتغشى وجوههم النار	٥٠	٨٣

١٥ ـ الحجر

الآية	رقمها	الصفحة
فوربك لنسالهن أجمعين عما كانوا يعملون	٨٢	١٠٥
وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل	٨٥	٢٧

١٦ ـ النحل

الآية	رقمها	الصفحة
يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها	١١١	٩٠

١٧ ـ الاسراء

الآية	رقمها	الصفحة
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك	٢٩	١٢٨
ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا	٣٦	١٠٥
يوم تدعوا كل اناس بامامهم	٧١	١٠٢
قل كل يعمل على شاكلته	٨٤	١٢٤
ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا	٩٧	٤٣ ـ ٣٥ ـ ٤٧
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها	١١٠	١٢٨

٢٢ ـ الحج

الآية	رقمها	الصفحة
يا أيها الناس اتقوا ربكم	١ ـ ٢	٣٤
كتب عليه من تولاه	٤	١٢٩
يا أيها الناس ان كنتم فى ريب	٥ ـ ٧	٢٧
ذلك بما قدمت يداك	١٠	١٢٤
ومن الناس من يعبد الله	١١	١٢٦

٢٣ ـ المؤمنون

الآية	رقمها	الصفحة
أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون	١٠٧	٤٨
واخسئوا فيها ولا تكلمون	١٠٨	٤٨
قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين	١١٢ ـ ١١٥	٤٦

٢٤ ـ النور

الآية	رقمها	الصفحة
يوم تشهد عليهم ألسنتهم	٢٤	٩٣
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق	٢٥	٦٥ ـ ٨٦
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار	٣٧	٦٥

٢٥ ـ الفرقان

الآية	رقمها	الصفحة
واذا ألقوا منها مكانا ضيقا	١١ ـ ١٥	٣٢
قال الذين لا يرجون لقاءنا	٢١	٥٩
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم	٣٤	٤٣

٢٨ ـ القصص

الآية	رقمها	الصفحة
وأصبح فؤاد أم موسى	١٠	٧٢
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة	٧٧	١٥

٢٩ ـ العنكبـــوت

٣٠ ـ الـــــروم

٣١ ـ لقمـــان

٣٢ ـ الســـجدة

٣٣ ـ الأحـــزاب

٣٤ ـ سبأ

الآية	رقمها	الصفحة
وقليل من عبادى الشكور	١٣	١٢٥
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون	٣١ ـ ٣٣	٤٦
وجعل بينهم وبين ما يشتهون	٥٤	١٢٤

٣٥ ـ فاطر

الآية	رقمها	الصفحة
ولا ينبئك مثل خبير	١٤	١٢٤
ولا يحيق المكر السىء الا بأهله	٤٣	١٢٤

٣٦ ـ يس

الآية	رقمها	الصفحة
فاذا هم من الأجداث	٥١	٤٥
ويوم نحشرهم يوم القيامة	٥٢	٤٤
ياويلنا من بعثنا من مرقدنا	٥٢	٤٥
فاليوم لا تظلم نفس شيئا	٥٤	٦٤
وضرب لنا مثلا	٧٨ ـ ٨٠	٧٣

٣٧ ـ الصافات

الآية	رقمها	الصفحة
احشروا الذين ظلموا	٢٢ ـ ٢٤	٤٦
اننا لمدينون	٥٣	٨٦
ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم	٦٧	٤٢

٣٨ ـ ص

الآية	رقمها	الصفحة
هذا فليذوقوه حميم وغساق	٥٧	٤٢

٤٣ ـ الزخرف

الآية	رقمها	الصفحة
واسال من أرسلنا من قبلك	٤٥	١٠٥
هل ينظرون الا الساعة	٦٦ ـ ٧٣	٢٩
أن المجرمين فى عذاب جهنم	٧٤	٣٠
يا مالك ليقض علينا ربك	٧٧	٤٧ ـ ٤٨
وعنده علم الساعة	٨٥	٢٧

٤٤ ـ الدخان

الآية	رقمها	الصفحة
يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا	٤٠	١٠٩

٤٥ ـ الجاثية

الآية	رقمها	الصفحة
وترى كل أمة ... اليوم تجزون	٢٨	٦٤ ـ ١٠٣ ـ ٨٦
وقيل اليوم ننساكم	٣٤	١٠١

٤٦ ـ الأحقاف

الآية	رقمها	الصفحة
اذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم	١١	١٢٩

٤٧ ـ محمد

الآية	رقمها	الصفحة
وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم	٥	٤٢

٥٠ ـ ق

الآية	رقمها	الصفحة
لقد كنتم فى غفلة من هذا	٢٢	٦٦

٥١ ـ الذاريات

الآية	رقمها	الصفحة
يوم هم على النار يفتنون	١٣	١٠٩

٥٢ ـ الطــــور

الآية	رقمها	الصفحة
يوم تمور السماء مورا	١٠	٦٢
انما تجزون ما كنتم تعملون	١٦	٦٤

٥٣ ـ النجــــم

الآية	رقمها	الصفحة
الا تزر وازرة وزر اخرى	٣٨	١٢٥
أزفت الآزفة	٥٧	٥٧
ليس لها من دون الله كاشفة	٥٨	٥٧

٥٤ ـ القمــــر

الآية	رقمها	الصفحة
اقتربت الساعة وانشق القمر	١ ـ ٨	٣٠
بل الساعة موعدهم	٤٦ ـ ٥٠	٣١

٥٥ ـ الرحمــــن

الآية	رقمها	الصفحة
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان	٣٧	٦٢
يعرف المجرمون بسماهم	٤١	٤٧
هل جزاء الاحسان الا الاحسان	٦٠	١٢٤

٥٦ ـ الواقعــــة

الآية	رقمها	الصفحة
اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة	١ ـ ٦	٧٦
فشاربون عليه من الحميم	٥٤ ـ ٥٦	٤٢
فلولا اذا بلغت الحلقوم	٨٢	٥٨

٥٩ ـ الحشر

الآية	رقمها	الصفحة
نسوا الله فانساهم أنفسهم	١٩	١٠١
هو الذى أخرج الذين كفروا	٢	٣٥

٦٤ ـ التغـــابن

الآية	رقمها	الصفحة
زعم الذين كفروا أن لم يبعثوا	٧	٧٤
ذلك يوم التغابن	٩	٧٤
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته	٩ ـ ١٠	٧٦

٦٦ ـ التحـــــريم

الآية	رقمها	الصفحة
لا تعتذروا اليوم انما تجزون	٧	٦٤

٦٧ ـ الملك

الآية	رقمها	الصفحة
كلما ألقى فيها فوج	٨ ـ ٩	٤٧

٦٩ ـ الحـــاقة

الآية	رقمها	الصفحة
الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة	١ ـ ٣	٨٦
يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فأما من أوتى كتابه بيمنه	١٨ ـ ٣٣	٥١ ـ ٥٣

٧٠ ـ المعـــارج

الآية	رقمها	الصفحة
يوم تكون السماء كالمهل	٨	٦٢
ولا يسأل حميم حميما	١١٠	٤٥
يوم يخرجون من الأجداث	٤٣ ـ ٤٤	١٨ ـ ٤٥ ـ ٥٥ ـ

٧١ ـ نـــوح

الآية	رقمها	الصفحة
ولا يلد الا فاجرا كفارا	٥	١٢٩

٧٤ ـ المـــدثر

الآية	رقمها	الصفحة
فاذا نقـر فى الناقـور	٨	١١٠
كل نفس بما كسبت رهينة	٣٨	١٢٤

٧٥ ـ القيـــامة

الآية	رقمها	الصفحة
لا أقسم بيوم القيامة	١	١٨
كلا بل تحبون العاجلة	٢٠	١٦
كلا اذا بلغت التراقى	٢٦	٥٨
لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه	٣٧	٣٩

٧٨ ـ النبـــأ

الآية	رقمها	الصفحة
عم يتسألون عن النبأ العظيم	١ ـ ١٦	١١١
ان يوم الفصل كان ميقاتا	١٧ ـ ٣٦	١١١
يوم يقوم الروح	٢٧	١٩
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه	٤٠	١٩

٧٩ ـ النـــازعات

الآية	رقمها	الصفحة
فاذا جاءت الطامة الكبرى	٢٤ ـ ٢٥	٧٩
يسألونك عن الساعة	٤٢ ـ ٤٣	٢٧

٨٠ ـ عبس

الآية	رقمها	الصفحة
فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء	٣٣ ـ ٣٧	٩٤

٨١ ـ التكوير

الآية	رقمها	الصفحة
واذا الموءودة سالت	٨	١٠٥

٨٢ ـ الانفطار

الآية	رقمها	الصفحة
وما أدراك ما يوم الدين	١٧ ـ ١٨	١٩

٨٣ ـ المطففين

الآية	رقمها	الصفحة
يوم يقوم الناس لرب العالمين	٦	١٨
كلا ان كتاب الفجار لفى سجين	٧	٦٣
كلا ان كتاب الابرار لفى	١٨	٦٣

٨٤ ـ الانشقاق

الآية	رقمها	الصفحة
فأما من أوتى كتابه بيمينه	٥٦	٥٣

٨٨ ـ الغاشية

الآية	رقمها	الصفحة
هل أتاك حديث الغاشية وجوه	١ ـ ٥	٨٢

٩٩ ـ الـــزلزلة

الآية	رقمها	الصفحة
يومئذ يصدر الناس أشتاتا	٦	١٩

١٠١ ـ القـــارعة

الآية	رقمها	الصفحة
القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة	١ ـ ٣	٨٣
يوم يكون الناس كالفراش المبثوث	٤	١٩

فهـــرس الاحاديث النبــوية الشريفة

الحديث الشريف	رقم الصفحة



فهرس الابيات الشعرية والشطرات

١ ـ ألا أبلــغ أبا ســفيان عنى ∴ فأنت مجـــوف نخب هـواء

كأن الرحل منهـا فوق صعل ∴ من الظلمــات جؤجؤه هواء

الوافر ص ٧١ ـ ٧٢

٢ ـ وقارعة من الأيــام لولا ∴ سبيلهم لزاحف عنك جنبـا

الوافر ص ٨٣

٣ ـ وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ∴ ولا تعبد الشيطان والله فاعبـدا

الرجز ص ٥٣

٤ ـ لا تأمنن بعـــدها الولائدا ∴ فســوف نلقى باســلا مواردا

الطويل ص ١٣٨

٥ ـ أزف الترحل غير أن رحالنـا ∴ لم تزل برحالنـــا وكان قد

الكامل ص ٥٨

٦ ـ أزف الرحيل وليس لى من زاد ∴ غير الذنوب لشقوتى ونكادى

الكامل ص ٥٨

٧ ـ ليس زين الفتى الجمال ولكن ∴ زينـه الضرب بالحسام التليد

الخفيف ص ١٣٧

٨ ـ يصيخ للبنــــاة أسـماعه ∴ اصـــاخة المنشــد للمنشــد

الرجز ص ٨٠

٩ ـ يا جارتى هل لك أن تجالدى ∴ جلادة كالصــك بالجـبــلامد

الرجز ص ٨١

١٠ ـ متى تفرغ بمروتكم نســؤكم ∴ ولم توقد لنـــا فى القــدر نار

الوافر ص ٨٣

١١ – أنفض نحـوى رأسـه وأقنعـا

∴ كأنمـا أبصر شـيئا أطمعـا

الوافر ص ٦٩

١٢ – يبـاكرن العضـاة بمقنعات

∴ نواجذهن كالحـدء الوقيـع

الوافر ص ٦٩

١٣ – بدجلة دراهم ولقـد أراهم

∴ بدجلة مهطعين الى السـماع

الوافر ص ٦٨

١٤ – لئن حللت بجوفى بنى أسـد

∴ فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

البسيط ص ٨٧

١٥ – فلاً يا بلأى ما حملنـا وليـدنا

∴ على ظهر محبوك ظماء مفاصله

الطويل ص ٢١

١٦ – ويوم عقرت للعذارى مطيتى

∴ فيا عجبا من رحلهـا المتحمل

الطويل ص ٢٢

١٧ – مكر مفـر مقبـل مدبر معـا

∴ كجلمود صخرحطهالسيل منعل

الطويل ص ٧١

١٨ – أصمنى سرهم أيام فرقتهـم

∴ فهـل سمعتم بسر يورث الصمما

البسيط ص ٨١

١٩ – يا أيها المرء الكريم المشكوم

∴ أنصر أخاك ظالما أو مظـلوما

مخلع البسيط ص ١٣٨

٢٠ – جاءت عليهـا كل عين ثرة

∴ فتركن كل حديقـة كالدرهم

الكامل ص ٩٢

٢١ – ان بعض الحب يعمى ويصـم

∴ وكـذاك البعض أدهى وأطـم

الرمل ص ٧٩

٢٢ ـ اذا ما رمينـــا رمينـــاهم
∴ ودناهم مثلمـــا يقرضـــونا
المتقارب ص ٨٦

٢٣ ـ وأيام لنـــــــا غر طوال
∴ عصينا الملك فيهـــا ان ندينـــا
الوافر ص ٨٧

٢٤ ـ كم من أب قد سما بابنه شرفا
∴ كما ســـما برســـول الله عدنان
البسيط ص ٩٨

٢٥ ـ حصادك يوما ما زرعت وانما
∴ يدان الفتى يوما كمـــا هو دائن
الطويل ص ٨٦

٢٦ ـ واعلم يقينـــا أن ملكك زائل
∴ واعـلم بأن كمـــا تدين تدان
الكامل ص ٨٦

٢٧ ـ تقول اذا درأت لهـــا وضينى
∴ أهـــذا دينـــه أبـدا ودينى ؟
الوافر ص ٨٧

٢٨ ـ وما ارتجى بالعيش فى دار فرقه
∴ ألا انما الراحات يوم التغـــابن
الطويل ص ٧٤

٢٩ ـ واغض طرفى ان بدت لى جارتى
∴ حتى يوارى جـــــارتى مأواها
الكامل ص ٧٠

شـــطرات الأبيـــات

كد أبك من أم الحويرث قبلها

صدر بيت من الطويل ص ٨٧

يا دين قلبـك من سـلمى وقد دينـــا

عجز بيت من الطويل ص ٨٨

فهرس الموضـوعات

القســم الاول

القسم الثانى

القســـم الثالث

تم بحمـــد الله

رقم الايداع ٥٤٢٠/١٩٩١
الترقيم الدولى العالمى I.S.B.N
977-5116-405

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع جوده - إسبورتنج - الاسكندرية
تليفون ٨٠٣٢٥٠